نور المسيح
ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

مجلة شهرية

Issue No: 31 عدد:
March 2010 آذار

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

السجود للصليب الكريم المحيي

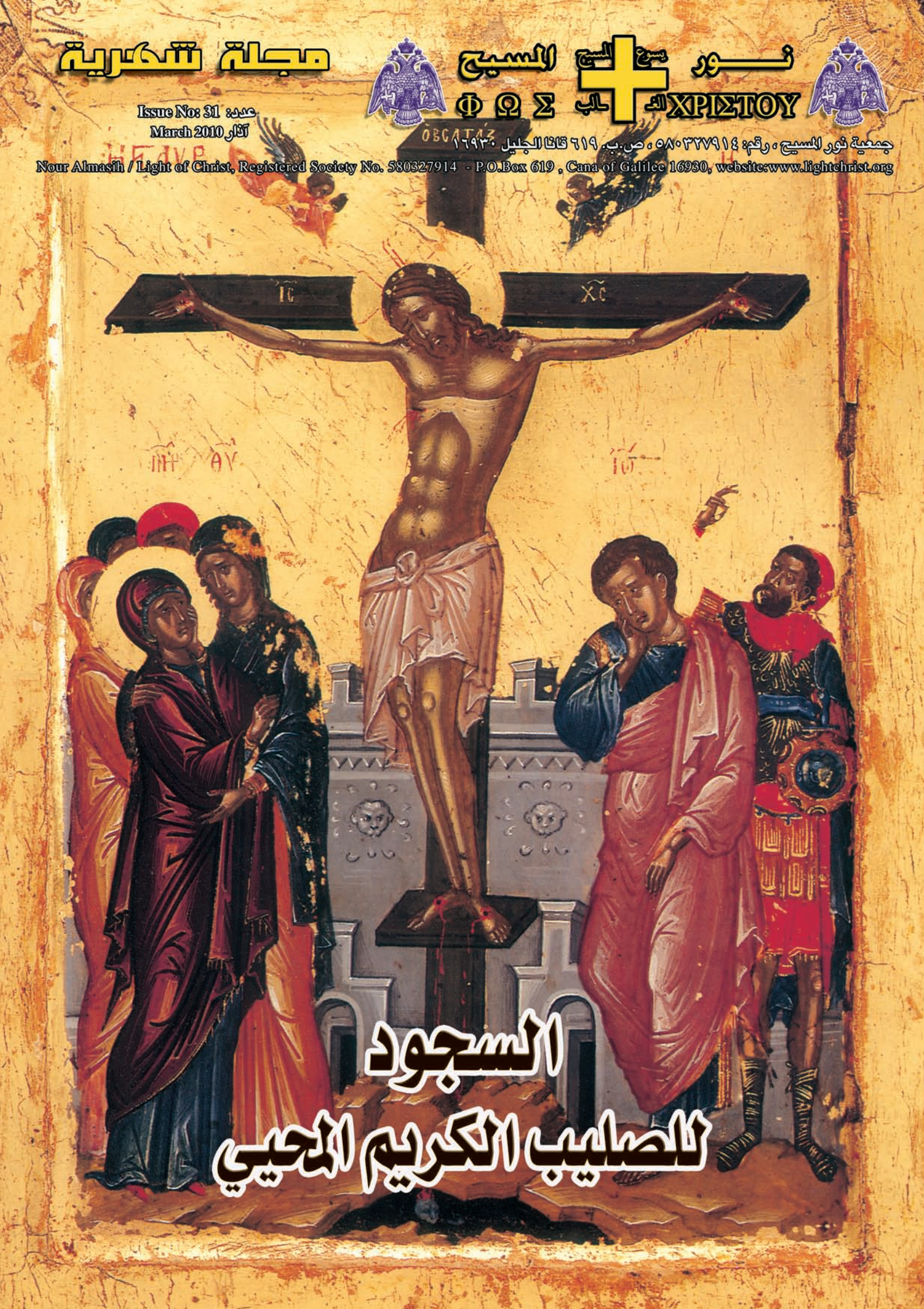

القديس برفيريوس أسقف غزّة

محتويات العدد

2 القديس برفيريوس
3 كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث
5 الذي يزرعه الإنسان
6 تقديس الفكر
8 تفسير القدّاس الإلهي
10 الصوم
14 خميس الأسرار
17 آلام المسيح الطوعيّة
22 طريق النساك
22 العهد القديم . (١٥)
23 عجائب القديس يوحنا الروسي
23 الفريد والحيّة
24 شرح أيقونة الصليب

توزع هذه المجلة مجاناً
جمعية نور المسيح : كفركنا - الشارع الرئيسي
(الحي الجنوبي) ص. ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١
تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة
حساب رقم : 12-726-111122
e-mail: light_christ@yahoo.com
ترتيب وتحضير : هشام ميخائيل خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

القديس برفيريوس أسقف غزّة
دير القديس ذيونيسيو - جبل آثوس

نشأ القديس بورفيريوس أسقف غزة من مدينة تسالونيكي على عهد الملكين أركاديوس وأورنوريوس. وكان أبواه غنيين شريفي النسب، فترك وطنه وأبحر إلى مصر وإقتبل إسكيم العيشة الرهبانية في دير السيق فيها، وبعد أن أقام فيه مع رهبانه الأبرار خمس سنوات، جاء إلى أورشليم، وجاور الأماكن المقدسة، ثم أرسل تابعه مرقس إلى تسالونيكي مصحوباً برسائل فجاءها وبمقتضى تلك الرسائل إقتسم التركة الشائعة بحق الإرث بين بورفيريوس وإخوته.

ثم باع حصته من العقارات وأحضر له ثمنها ثلاثة آلاف دينار مع فضة وذهب وثياب بقيمة ألف وأربعماية دينار، فاستلمها بورفيريوس البار منه، ثم أخذ يوزعها على الفقراء والأديرة.

وكان بورفيريوس قبل مصاباً بمرض في الكبد، فوجده تابعه بعد عودته صحيحاً معافىً. فسأله عن طريقة شفائه، فأجابه إني فيما كنت في صلاة أغريبنية القيامة المقدسة أصابني ألم شديد لا يطاق، فصعدت إلى مكان الجمجمة المقدسة، وإنطرحت على الأرض، وغبت عن الرشد. فرأيت، وأنا على تلك الحالة، المخلص معلقاً على الصليب، فأخذت أهتف نحوه بصوت اللص قائلاً: أذكرني يارب في ملكوتك، فقال المخلص للّص: إنزل من على الصليب، وخلص ذاك الطريح كما خَلُصت أنت، فنزل واحتضنني وقبّلني، ثم مَدَّ إليّ يُمناه وأنهضني قائلاً: تعال إلى المخلص، فنهضت وهرعت إليه ركضاً، فرأيته ينزل عن الصليب قائلاً لي: خذ قطعة الخشب هذه واحتفظ بها، فأخذتها وحملتها، فعاد إليّ رشدي، ولم يعد يصيبني ألم.

وكان هذا البار متضلعاً في المعرفة والحكمة، يبكم اليهود واليونان أي الوثنيين والهراطقة في المناظرات، ومزيناً بكل نوع من الفضيلة. وكان يتعاطي صناعة السكافين يغسل جلوداً ونعالاً ويخيطها. ثم سامه إبرائيليوس بطريرك أورشليم قساً، وله من العمر ٤٥ سنةً، وأناط به حفظ عود الصليب الكريم، فتمت له بذلك الرؤيا التي رآها قبل. و كان طعامه الخبز والخضار يفطر بها بعد غروب الشمس. ثم بعد ذلك بسنة، توفي إيرينيون أسقف غزة، فجاء أهلها إلى يوحنا مطران قيصارية فلسطين يطلبون منه أسقفاً، فأمر الشعب بصوم لهذه الغاية، فأوحى اليه بإنتخاب بورفيريوس، وفي غضون ذلك رأى بورفيريوس المغبوط في الحلم الرب يقول له سلم الوديعة التي أستودعتكها، فإني أريد أن أزوجك بإمراة وضيعة ولكنها حسنة السلوك. فطلبه يعيد ذلك يوحنا مطران قيصارية من إبرائيليوس بطريرك أورشليم بعلة لزومه لحل معضلة كتابية، فأرسله إليه، فلما جاءه، سامه في الحال أسقفاً لغزة، وهو يبكي خشوعاً ومهابةً، فأخذه أهل غزة وجاؤوا به إلى كنيسة القديسة إيريني التي كان سلفه إيرينيون قد بناها.

وبعد دخوله إلى غزة حدث قحط بانحباس المطر، فنسب اليونان (أي الوثنيون) السبب إلى بورفيريوس البار زاعمين أن إلههم مارنا أوحى إليهم بأن بورفيريوس الأسقف هو ذو قدم شؤم ونحس، ففرض هو على المسيحيين صلوات ليلية، وأخذ يصلي ويرتل معهم، متضرعاً إلى الرب من أجل ذلك، فأرسل الرب وابلاً هطالاً جعل كثيرين من اليونان يؤمنون قائلين: المسيح هو إله حقاً ولم يغلب إلا هو. وكان عدد الذين آمنوا إذ ذاك مائة وسبعة وعشرين رجلاً وأربعة صبيان.

وإذ كان حكام غزة أيضاً وثنيين، كان المسيحيون يكابدون عذاباً وأضراراً عظيمة.

من ذلك أنه أرسل باروخاس أتباع القديس برفيريوس يوماً إلى قرية في إقتضاء راتب كنائسي، فمانعه فلاح يوناني مقاوماً، وأثار هيجاناً، فتجمهر اليونان وأوسعوا باروخاس ضرباً أليماً حتى الموت. فمر كورنيليوس الشماس، وإذ رآه بين حي وميت، حمله وأتى به المدينة، فبلغ الخبر إلى القديس بورفيريوس فأسرع

التتمة في صفحة ٤

كلمة صاحب الغبطة
بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم
كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث

غبطة بطريرك
المدينة المقدسة اورشليم
كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث

"إنّ العدوَّ في الفردوس قديماً عرَّى آدم بواسطة العود وجلَبَ الموت لأجل المذاقة وأمَّا عود الصليب فانغرس على الأرض آتياً للبشر بلباس الحياة واستوعب العالم بأسره كل فرح ". (الكاشسما – سحريّة ألأحد الثالث من الصوم)

أيها الأخوة الأحباء بالمسيح يسوع

نشكر ونسجد للثالوث القدّوس ، الذي أهّلنا لكي نصل إلى نصف فترة الصيام المبارك ، التي فيها نَسجُد للعود الموقّر الصليب الكريم المحيي لربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح.

الصليب الموقّر هو مجد الكنيسة ، ورمز الديانة المسيحيّة وعلمها ، مثلما يقول مرنّم الكنيسة: الصليب حافظ المسكونة ، مجد الكنيسة نبع الأشفية بسخاء ، منير أقطار العالم.

لماذا نكرّم الصليب الموقّر ، ولما وضعت لنا الكنيسة الإحتفال بالسجود والتكريم له في وسط الصيام .

لأنّه مثلما يقول المرنّم : الكنيسة هي الفردوس التي برزَت من خلال عمل المسيح الخلاصي للبشريّة جمعاء حين سُفكَ دمه الطاهر على عود الصليب متمّماً الآلام الطوعيّة ، دائساً علىَ الموت بالموت من خلال قيامته المجيدة. لذلك فكنيستنا هي «**كنيسة القيامة**».

سرّ التدبير الإلهيّ . يعني التخطيط الإلهيّ لخلاص البشر أي لخلاصنا من سلطان الخطيئة والموت.

فكما استعمل الشيطان العود المغروس في الفردوس قديماً ليخدع به الجديّن الأولين آدم وحواء ، هكذا الصليب المحيي أصبح العود الذي بسَطَ عليه المسيح يديه الطاهرتين ليعيد آدم الساقط ، ويلبسه لباس الحياة ومن خلاله يُلبس البشرية جمعا.

الكنيسة هي الفردوس الجديد الذي صنعة المسيح والتي غُرسَ فيها العود المحيي ، هذا العود الذي غُلبَ فيه الشيطان. من خلال الدم والماء المتدفّق من جنبه الطاهر (ألا وهما سرّ المعموديّة وسرّ الشكر الإلهي ، وبالتالي أسرار الكنيسة).

فهذا العود الجديد عود الحياة ، هو حلّة عدم البلى الذي وشّحَ به المسيح آدم وذريَّتَهُ. وهو رمز الإنتصار والغلبة ، إنّه السلاح الحاد ضد قوى الشيطان.

الصليب الحقيقي الموجود لغاية هذا اليوم في كنيسة القيامة ، (**التي وجدته القديسة هيلانه**)، وأيضاً رسم الصليب عامّة ،يعتبر رمزاً وعلامة للغلبة والظَفَر، إذ يحوي في داخله قوّة المسيح الإلهيّة.لأنّ عود الصليب هذا حَمَلَ جَسَدَ المسيح الإلهي الذي ضَمّخَه بدمه الكريم.

لذلك هذا العود تقدّس بالنار غير الهيوليّة وبالنور الإلهي غير المخلوق .

لذا أصبَح الصليب للمؤمن نوراً إلهياً شافياً ومحيياً، أما الذي يرفض هذا العمل الخلاصي (الصليب) فيصير له ناراً محرقةً. وهذا ما يوضّحه لنا أشعياء النبي القائل:

«فقلتُ ويلي إنّي هلكت لأنّي إنسانٌ نَجسُ الشفتين وأنا ساكنٌ بين شَعْب نجس الشفتين لأنّ عيْنيَّ قد رأتا الملك ربَّ الجنود. فطارَ إليَّ واحدٌ من السّرافيم وبيده جمرةٌ قَدْ أَخَذَها بملقط من على المذبح ومَسَّ بها فَمي وقال إنَّ هذه قَد مَسّت شَفتيك فانتُزِعَ إثمُكَ وَكُفِّرَ عن خطيّتكَ». (أشعياء ٦:٥–٧).

ولماذا وضعت الكنيسة الإحتفال بالسجود للصليب المحيي في نصف الصيام ؟

لأنّ تنفيذ أي مشروع كان على حيّز الواقع يخضع لكثير من المتطلبات والأمور ، التي تتطلب جهداً كبيراً لإتمامها وهذا بدوره يلقي أتعاباً جمّة على عمليّة التنفيذ هذه.

وهذا ما يحدث لنا من خلال ممارستنا لمسيرة الصوم الكبير، هذا الصوم الذي يتطلّب **جهاداً نسكيّاً بالروح والجسد**، لما فيه من ضبط الفكر والإلتزام بفرائض الصوم الكثيرة ، والقيام بالصلوات المفروضه ، التي تؤدّي إلى حالة إعياءٍ وتعب وإرهاق ومرارة خاصّة للمبتدئين.

لذا يُقدّم الصليب الكريم المحيي مريحاً ومقوّياً إيّانا ليذكّرنا بآلام ربنا يسوع المسيح ويعزّينا ويشجعنا لنستمر في جهاداتنا الروحيّة لنتمّ شوط الصوم ؛ **لأنّ الصليب جرحٌ للشياطين** ، وهو فرح كل العالم ،وقوة وقوت للمؤمنين ، وتشجيع الصديقين ، ورجاء الخطأة.

ونحنُ بسجودنا له بإيمان ووقار نعبر مسيرة الصيام المبارك لنعاين وبفرحٍ روحيّ كبير قيامة المسيح الظافر من بين الأموات.

وكل عام وانتم بألف خير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

ركضاً، وأخذ يلاطف الثائرين، ويتوسل إليهم حتى تمكن بعد الجهد من إخماد غيظهم وتسكين خواطرهم. ثم أعادوا الكرة فتشددت عزائم باروخاس البار الذي كانوا يظنونه ميتاً، فتناول قطعة خشب وهجم عليهم، فهزمهم مطارداً حتى هيكل مارنا.

أما بورفيريوس البار فأرسل إذ ذاك يعلم الملك بالحال بواسطة البار يوحنا الذهبي الفم بطريرك القسطنطينيّة متوسلاً إليه وراجياً إقفال معابد الأصنام وتعطيلها. فأرسل الملك مأموراً اسمه إيلاريوس مصحوباً بأوامر ملوكية، فأقفل كل معابد الأوثان ما عدا هيكل مارنا فإنّه ارتشى بمبلغ وافر من النقود، فتركه مفتوحاً، فلبث اليونان يقدمون فيه ذبائحهم الفظيعة.

ثم حدثت معجزة عظيمة وهي أن إمراة تصعبت في ولادتها لاتخاذ الجنين حين الولادة وضعاً غير طبيعي وخروج يده قبل رأسه. فحضر أطباء وسحراء يونانيون كثيرون ولم ينفعوا المرأة بشيء حتى أشرفت على الخطر، وكانت مرضعتها وهي أمرة مسيحية تذهب في أثناء ذلك إلى الكنائس تصلي وتضرع إلى اللّه. فرآها القديس بورفيريوس وعلم منها سبب ضراعتها فقال لها: إن بيت المرأة المصابة مملوء بالأصنام فامضي إلى أهله، واطلبي منهم أن يعاهدوا من هو مزمع أن يشفيها على أنهم يجرون أوامره. ومتى رفعوا أياديهم إلى السماء تأكيداً لعهدهم قولي للمرأة المصابة:«ليشفك يسوع المسيح إبن اللّه. آمني به تخلصي». فمضت المرضعة وفعلت وقالت كما أمرها، فنزل الطفل في الحال حياً. فانذهل الحضور كلهم وصرخوا :« عظيم هو إله المسيحيين، وعظيم هو كاهنهم بورفيريوس».

ثم بعد أيام قليلة عَمّد بورفيريوس المرأة وأبويها وزوجها وكثيرين من أهلها وكذلك الطفل داعياً اسمه بورفيريوس وكان عدد المتعمدين ٦٤شخصاً. ثم إذ رأى هذا القديس الوثنين يضطهدون المسيحيين ويجورون عليهم استصحب مطرانه يوحنا، وأبحر إلى القسطنطينية. ولما وصلا إلى جزيرة رودس وجدا في مؤخرتها متوحداً البار بروكوبيوس رجلاً قديساً بعيد النظر لا تفوته معرفة الغيب، فحالما رآهما عرفهما فخرَّ لهما ساجداً. ثم أخبراه بسبب ذهابهما إلى العاصمة فقال لهما: إن الملكة تمقت البطريرك يوحنا الفائق البر، فلا يمكنه أن يذكر هو نفسه عنكما شيئاً للملكة، ولكنه يوكل أمركما إلى أمانتيوس حاجبها، فيمثلكما لدى الملكة افذوكسية المعظمة، وهي الآن حبلى. ففي مقابلتكما الثانية لها قولا: إننا نرجو من المسيح إلهنا الحقيقي إن عضدت مسيحيي غزة أن يرزقك مولوداً ذكراً، وهذا هو الشهر التاسع لحبلها.

ولما بلغا القسطنطينيّة قابلا القديس يوحنا الذهبي الفم وقدماله إحترامهما، وأخبراه بحالهما وسبب حضورهما، فوكل أمرهما إلى أمانتيوس الحاجب، فأعلم الملكة بما يقتضى، ثم مثلهما لديها فقبلتهما بانعطاف وبشاشة، ثم أعلمت الملك طالبةً طرد الوثنيين. أما الملك فشق عليه ذلك لوفرة الضرائب التي كان يجبيها منهم. ثم في إمتثال الأسقفين الثاني لدى الملكة بشّراها حسب نبوة بروكوبيوس الناسك البار بأنها مزمعة أن تلد ذكراً، فسُرت الملكة بسماع ذلك ووعدتهما بقضاء غرضهما تماماً وببناء كنيسة في وسط مدينة غزة، ثم ولدت إبناً هو ثاودوسيوس الصغير، فاستدعت الأسقفين فحضرا، وبعد أن باركاها أشارت عليهما بأن يكتبا عريضة تتضمن كل مطالبهما، ومتى نال الصبي سرّ المعمودية المقدسة أن يعطيا العريضة لحاملة وهو خارج به من الكنيسة، ففيما كانوا خارجين بالطفل من الكنيسة بعد أن نال سرّ المعمودية خرّ الأسقفان ساجدين للملك العظيم ثاودوسيوس الصغير، وناولا حامله العريضة، وكانت الملكة قد أمرته ماذا يفعل. ففتحها وقرأ جزءاً منها، ثم أمسك بيده رأس الطفل وحناه قليلاً على مرأى من الجميع وقال قد أمرت جلالتهما بإتمام ما في العريضة، ولما وصلوا إلى البلاط استقبلت الملكة الطفل والملك وقبلتهما، وطلبت أن تتلى العريضة فتُلِيَت فقال الملك: إن الطلب ثقيل و لكن الرفض أثقل، لأنه أول أمر صدر منَ إبننا. فقالت الملكة أفدوكسية: لا لأنه أول طلب فقط، بل لأنه طلب يتعلق بالتقوى وحسن العبادة أيضاً، وقد جرى على هذا الوجه ، فَقَبِلَ الملك وأصدر خطاً ملكيّاً ، أرسل مع الكونت كينيجيوس من رجال دار الندوة، وكان رجلاً حار الإيمان.

وقبض بورفيريوس المغبوط من الملكة مائتي قطعة ذهبية لبناء الكنيسة، وقبض كل من بورفيريوس ويوحنا مطران قيصارية مائة دينار لنفقته، ثم عين لكل منهما من أموال فلسطين عشرون ليتراً ذهباً ، وهكذا ودّعاهم جميعاً وأبحرا راجعين. ولما وصل إلى رودس، أرادا أن يزورا بروكبيوس البار فلم يسمح لهما ربان السفينة بذلك، لأنه كان هرطوقياً على غير علم منهما.

فأقلعا بالسفينة ، وكان الهواء جيداً، والبحر رائقاً. ثم بعد يومين حدث نوء هائل جعلهما ييأسان من الحياة، فأخذا يصليان متضرعين إلى اللّه ومستغيثين بصلوات القديس بروكوبيوس الناسك. فظهر بروكوبيوس البار لبورفيريوس المغبوط في الحلم عند الفجر وقال له: « عظا ربان السفينة واختماه، فإنه آريوسي المعتقد، و لذلك لم يسمح لكما بزيارتي. فاجعلاه يلعن آريوس وبدعته الوخيمة، فيهدأ النوء في الحال».

فأخبرا الربان بما كان فأقرَّ ولعن آريوس، وبعد أن إختتم واتّعظ، تناول الأسرار الإلهية، فانكف النوء في الحال، و هدأ البحر، فوصلا في أربعة أيام إلى **مايوما**، حيث إستقبلهما أهل المدينة و باقي المدن والقرى بالتراتيل.ولما دخل الأسقف المدينة وبلغ المكان المدعو تترامفودوس (مفترق الطرق)، حيث كان منصوباً على عمود تمثال أفروديتي (الزهرة) من الرخام بادي العورة كلها يخدع الرجال والنساء، خرج روح الجن الذي فيه، فسقط و تحطم متكسراً، و حطم اثنين من اليونان الذين كانوا هناك، لأنهما كانا واقفين يهزءان بالشعب المسيحي ويسخران به، فآمن من اليونانيين بسبب ذلك ٣٢رجلاً و٧ نساء. ثم وصل الكونت عاجلاً ومعه وزير وأمير وأعوان عسكريون وملكيون، فهدموا معابد الأصنام أخصها ثمانية وهي:

معبد بعل أو الشمس ومعبد أفروديتي ومعبد أبولون ومعبد كوري ومعبد إيكاتي ومعبد إيروس ومعبد تيخي ومعبد زفس الكريتي مولداً، وكانوا يعتبرونه أعظم وأفضل الهياكل كلها، ثم هدموا معابد الأصنام في البيوت وكانت أكثر من أن تُعَد. وإذ رأى اليونان ذلك انتحبوا باكين ومولولين، فأعمل الرؤساء فيهم الضرب بالعصى والنبابيت، أما القديس بورفيريوس فكان قد حرم في الكنيسة كل مسيحي ينهب من معابد الأصنام شيئاً من ذهب كان أو فضة. فقضوا عشرة أيام في حرق الأصنام ومعابدها، ثم أخذوا يفتكرون بأمر هيكل مارنا كيف يتصرفون به، أيهدمونه أم يحرقونه، ثم يطهرونه لكي يجعلوه بيتاً للّه.

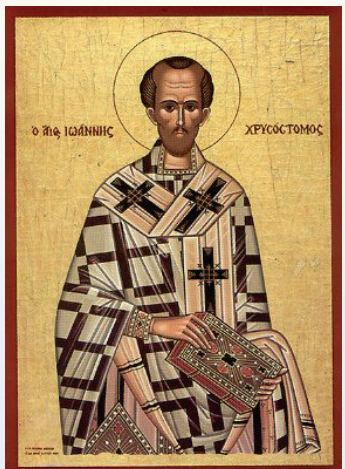

القديس يوحنا الذهبي الفم

فصاموا وعقدوا اجتماعاً في الليل للصلاة، فصاح في أثناء ذلك بغتة من بين الشعب ولد كان واقفاً مع أمه وله من العمر نحو سبع سنوات وقال: أحرقوا الهيكل الخارجي حتى الحضيض، فقد جرت فيه فظائع كثيرة، لا سيما تضحية البشر، وليكن حرقه على هذه الطريقة أي جيئوا بقطران وكبريت وشحم خنزير واخلطوا الثلاثة معاً واطلوا أبوابه النحاسية وضعوا عليها النار فيحترق كله، وليس في الإمكان هدمه بغير هذه الطريقة.

وأما الهيكل الخارجي فدعوه مع ما يحيط به، وبعد أن تنظفوا المكان وتُطَهروه، ابنوا فيه كنيسة مقدسة، وقال أيضاً: أناشدكم اللّه أن لا تعملوا غير ما قلت، فلست أنا المتكلم بل المتكلم بي هو المسيح، وقد قال هذا الكلام كلّه باللغة السريانية، فلما بلغ الأسقف ذلك مجد اللّه، ثم استحضر أم الصبي وقال لها:

أبتَلقين منك قال الصبي ما قال، فأقسمت أنها لم تلقنه شيئاً من ذلك، ثم استحضر الصبي وتهدده مخوفاً، فصمت الصبي قليلاً ثم قال باليونانية ما قاله قبل عن حرق الهيكل بالسريانية، فذهل الحضور كلهم ومجدوا عظائم اللّه، أما الأم فقد أكدت بأقسام أنها لا تعرف لا هي و لا ابنها اللغة اليونانية أصالة، ثم أعطاها الأسقف البار ثلاث قطع من النقود، فأخذتها، فرآها ابنها ، فصاح بالسريانية قائلاً: لا تأخذي، يا أماه، لا تبيعي أنت أيضاً موهبة اللّه بذهب، فردتها للأسقف، واستعاضت عنها بالبركة والدعاء، وكان تريبون وهو يوناني أي وثني في الحقيقة يتظاهر بالنصرانية يضرب بعض المسيحيين بالسياط بعلة قصده حفظ النظام، فسقطت على رأسه قطعة خشب وقتلته. فآمن بالمسيح في خلال ذلك ثلاثمائة نفس.

ثم خطط الكنيسة على هيئة صليب، طبق الرسم الذي أرسلته الملكة افذوكسية. وفي أثناء بنائها عطش يوماً ثلاثة من الأولاد عمر كل واحد منهم نحو ست أو سبع سنوات فقصدوا البئر التي خارج الهيكل للاستقاء منها، فانكسرت الخشبة التي على فمها، فسقطوا إلى قاعها فحدث اضطراب عظيم ، فدلوا إليها رجلاً فوجدهم واقفين على حجر فيها فنشلوهم في قفة، وفحصوهم فلم يجدوا فيهم أثر هشم، بل وجدوا عليهم رسوم صلبان كأنها من حناء، الواحد منهم على جبينة والآخر على يده اليمنى بقرب الأصابع والآخر على كتفه اليمني. ثم حضرت من أنطاكية الى غزة أمراة اسمها يوليا (او جوليا) من تلامذة ومعلمي بدعة ماني مصحوبةً برجلين ونساء. فأخذت تطوف وتعلم فأفسدت ضمائر البعض بقوة الشرف والمال، فلما بلغ الأسقف البار خبرها، استحضرها واستطلعها عن حالها فأقرت وقالت له: عَيِّن يوماً للمناظرة فإما تُقْنِع أو تَقْتَنِع، فصام، ثم أخذ الإنجيل بين يديه، و ابتدأ يناظرها ويجادلها. وكانَ كورنيليوس الشماس يكتب ما تطارحه الطرفان في تلك المناظرة من الإعتراضات والردود، وقد جمعها في مؤلف خاص كما قال، وإذ تطاولت جوليا كثيراً بالتجديف على سيّد الكل ربنا يسوع المسيح، إنتهرها القديس بورفيريوس قائلاً: ليضرب لسانك الرب الإله صانع كل البرايا المنظورة وغير المنظورة، الممجد في ثالوث، وليبكمك حتى لا تنطقي بكلام تجديف بعد على اللّه خالق كل الكائنات. فأصيبت في الحال بالخرس، ثم بعيد ذلك، ماتت، فبهت من كان معها من أتباع ماني وتابوا وآمنوا بالرب.

ثم بعد خمس سنوات، دشن بورفيريوس البار الكنيسة المقدسة باحتفال عظيم، لم يشفق في النفقات عليه على النقود، فأولَمَ لكل الشعب وألّف من الرهبان في يوم الفصح المقدس وليمة كان يرتل فيها بعد الطعام مزمور وبعد الشراب تسبيحة. وكان يستضيف الغرباء القادمين إلى المدينة مانحاً كُلاً منهم لنفقة يومه ستة فلوس، وأوصى بأن يعطى كل فقير إلى مدة أربعين يوماً بعد الفصح عشرة فلوس مخصصاً بذلك إيراد ضيعة وقفها، وأمر بأن تحال تلك الضيعة بطريقة شرعية إلى مطرانية قيصارية إن لم يقبل الأسقف الذي يخلفه في رئاسة كنيسة غزة بأن يوزع إيرادها طبق وصيته المذكورة.

ثم وقعت حادثة سميسيخوس الحاكم، فإنه وقع بين المذكور وبين إيكونومس الكنيسة خلاف على ضياع نشأت عنه إهانة الأول، فثار أهل المدينة (اليونان) مع رجال دار الندوة، وأوقعوا بأبناء الكنيسة، حتى إضطر القديس برفيريوس أن يهرب ملتجئاً إلى بيت يختبيء فيه، فوجد جارةً إسمها سلافثا دعيت فيما بعد إيريني (سلام)، ثم أدب الحاكم واسمه إكليروس الثائرين على الكنيسة فأعاد الهدوء والراحة إلى المدينة، أما إيريني المذكورة فقد عمدها القديس بورفيريوس بعد ذلك مع خالتها وجدتها، فرفضت العالم واعتنقت سيرة التوحد الإلهية.

وبعد أن أقام بورفيريوس البار على كرسي أسقفية غزة عدة سنين، رقد بالرب، وذلك في اليوم السادس عشر من شهر شباط، وكانت مدة أسقفيته عليها أربعاً وعشرين سنةً وأحد عشر شهراً وثمانية أيام .

فأنت أيها الإله، يا من مجد رئيس كهنته وعبده الأمين بورفيريوس وأعتَق به شعبه من ضلال عبادة الأوثان وهداه إلى معرفة الحق، إنعطف الآن أيضاً بشفاعاته، بما أنك صالح و أنقذ كنيستك من ضلال كل هرطقة وسوء إعتقاد يسودان في العالم، فإنك إله تريد خلاص الكل، لك المجد و العزة إلى دهر الداهرين آمين

الذي يزرعه الإنسان إيّاه يحصد

أسطورة قديمة قيلت عن لقمان الحكيم ، أرسلَه سيّده يوماً ليزرع قمحاً في حقل في بلاد العرب ، وفي وقت ما ذَهَبَ سيّده ليرى القمح فوجَدَ شعيراً لا قمحاً ، فسأل لقمان عن الأمر فأجابه: إنّي زرعت شعيراً، فغَضِبَ عليه وقال: «ولكنّي كنت منتظراً ومتوقّعاً أن أحصد قمحاً، فكيف تجرؤ على هذا التصرّف الغبيّ في مسألة جوهريّة كهذه ؟؟»

أجابه لقمان «ياسيّدي أنت دائماً تزرع في العالم بذار الشرّ منتظراً أن تحصد أثمار الفضيلة ، وهذا جعلني أفتكر أنه يمكن أن نحصد قمحاً حتى لو زرعنا شعيراً!!»

وكان درساً عملياً قاسياً من لقمان لسيّدة!!

«هذا وإنّ من يزرع بالشحّ فبالشحّ أيضاً يحصد ومن يزرع بالبركات فبالبركات أيضاً يحصد» (٢كو٩:٦).

تقديس الفكر
حسب تعاليم النساك
من الأفكار والتصوّرات الجنسيّة

عقل الإنسان يتأثّر وينطبع بنوع الإهتمام الذي ينجذب إليه قلب الإنسان وشهوته كقول الربّ : « حيثُ يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً» (متى ٦ : ٢١) . فالإنسان الذي يُريد أن يعيش بفكر مقدّس ، عليه أن يحصر إهتماماته في الأمور المقدّسة ويجعل مَسَرّته في أقوال اللّه وخدمته وفي سِيَر القدّيسين وأخبارهم وأقوالهم ومراحم اللّه معهم . (من أقوال النسّاك)

أُهرب من خبرة الشرّ لأنّها سوفَ تطاردك :

خبرة الشرّ وممارسة الخطيّة وفَتح العين والأذن على القبائح ، يُعبىء الفكر بذخيرة نجسة من المناظر والصُوَر والكلمات التي ينتفع بها الشيطان ويستخدمها ليُتاجر فيها مع العقل فيؤلّف منها تخيّلات وقصَصاً وحوادث في اليقظة والنوم لا تنتهي. لذلك فبداية **تقديس الفكر** يبدأ بالجزع من الشرّ والهروب من المناظر والكلمات والأخبار الشرّيرة **بعزيمة وتصميم حتى الموت** ، لأنّ أقل تهاون سيدفع عنه الإنسان بعد ذلك ثمناً باهظاً من الندم والجهاد للتخلُّص من الآثار والنتائج.

ولا تَسْتَهن بالصُوَر والمناظر والكلمات القبيحة إذا وَقَعَتْ عليها عيناك وأذناكَ واستحسنتها **لأنّها سوفَ تُطاردك** وتُغريكَ للتنازل والتلذّذ بها أكثر ، فإذا تهاونت معها في البداية ، فسوفَ تتسلّط عليك في النهاية بالرغم عن إرادتك ، فتهين طهارتك ، وتوسّخ نيّتك وتذلُّ عقلك وتوردك موارد الهزء ، وتجعلك آلة في يد الشيطان. ترفضها فتتبعك ، تجحدها فتتمسّك بك ، تنساها فتتمثّل أمامك ولا تتركك حتى تدفع لها ثمناً باهظاً من وقتك وصبرك وعزيمتك.

ضَع حدّاً فاصلاً بين النجاسة والطهارة:

بداية تقديس الفكر في التدبير الروحاني أن يضع الإنسان حَدّاً فاصلاً بين النجس والطاهر ، الحلال والحرام ، فلا يستحسن النجاسة ولا يقبل الحرام ، لا بالعين ولا بالأذن ولا بالفم ولا بالفكر ولا بالضمير ، بل يرذلها سِرّاً وعلناً ويرفضها من كل قلبه باعتبار **أنّ الموت يكمن له فيها**.

لا تَسْتَعِدْ النظر في الوجوه بقصد الشهوة:

الإنسان إذا تنجسّت عيناه تنجّس قلبه ، فباب القلب هو العين ، كما قال الربّ يسوع: « ...إن كُل مَنْ ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه» (مت٥:٢٨). ولكن يا ليت الأمر يقتصر على ذلك بل إنّ صورة المرأة إذا التقطتها العين باشتهاء ، فإنّها تنطبع في المخيّلة لحساب الشيطان ، وحينئذ ينسخ منها الشيطان آلاف النُسَخ كحقّ من حقوقه ليعرضها عليك في كلّ لحظة فيثير شهوتك ويُلَوّث ويُعَذّب نفسك حتى بعد **التوبة والإعتراف**.

أفثيميوس الكبير

سابا المتقدّس

يوحنا السلمي

لذلك يقول الربّ: «إن كانت عينك شرّيرة فجسدك كلّه يكون مُظلماً» (مت٦:٢٣) . **أي أنّ الفحص يبدأ بالعين**.

قبلَ أن تتقدّم للإعتراف والتوبة والتناول لتتخلّص من خطاياك **إفحص أولاً عينك هل هي بسيطة أم شرّيرة** لأنّه « ... إن كانت عينك بسيطة فجسدك كلّه يكون نيّراً» (مت٦:٢٢) بمعنى أن القداسة التي تَطْلُبها وتَسعَى إليها لَنْ تسكُن جسدك طالما عينك شرّيرة أو زانية. فلو اعترفتَ ألف مرّة وعينك شهوانيّة تختلس النظرات للتلذّذ بالجمال الزائل والأجساد التي سيأكلها الدود ، فلن يُقَدّمُك الإعتراف إلى **التوبة الحقّة** ، لأنّ الخطيّة رابضة بالباب ولكَ اشتياق إليها.

إجعل جسدك مُنيراً:

الجسد مُظلم بطبيعته التي فسدت بالخطيّة ، فالغرائز أصبحت تتصارع فيه بدون لياقة ، لأنّ الخطيّة جعلت المعرفة تخدم النجاسة ، وسخّرت عبقرية الإنسان للتفنّن في إثارة الغرائز ، والعين التي خلقها اللّه لترى بها النور تركت عنها النور واشتعلت بالزنا.

لذلك يقول الرب مخاطباً الإنسان: « ... فإن كان النور الذي فيك ظلاماً فالظلام كم يكون» (مت٦:٢٣). بمعنى أنّ العين إذا أحبّت الظلمة فماذا سيكون الجسد إلاّ أتوناً مُستعراً يوقد الشهوات ، يحرق نفسه بنفسه ، إلى أن تضمحل قوى الإنسان ويذهب نور عينيه بلا رجعة ! وكم من أجساد أضمرتها الشهوة وأسكنتها القبور وهي في ريعان الشباب.

الآن ندرك قيمة كلمات أيّوب الصدِّيق: «عهداً قطعت لعينيَّ فكيف أتطلَّع في عذراءَ» (أيوب ٣١:١). هذه بداية حتميّة لمن يُريد أن يعيش في الطهارة لأنّ قول الربّ حقٌ هو: «إن كانت عينك بسيطة فجسدك كلّه يكون نيّراً» (مت٦:٢٢). إذن ، فبساطة العين هي مفتاح الطهارة لأنّها حينئذ لن توصِّل إلى الفكر أيَّ تنبيه شهواني ، وبالتالي تظلّ أعضاء الجسد هادئة بدون إثارة.

العين البسيطة لا تتعدّى وظيفتها أي الرؤيا الطاهرة في نور اللّه الخفيّ. فحينما يقع شعاع اللّه على وجوه النّاس ، فلا يميّز الإنسان ذو العين البسيطة الطاهرة بين الجميل والقبيح لأنّه يكون منشغلاً

بالرسالة الروحيّة التي تربطه بكل إنسان ـ أيّاً كان ـ وحينئذ يكون الفكر أثناء كل منظر بسيطاً أيضاً بمعنى أنّه يكون حُرّاً يفكّر فقط فيما للّه.

فرِّغ عقلك من خبراته الجنسيّة بكشفها للّه متواتراً:

طالما الفكر منشغل بالتصوّرات الشرّيرة وبالأخص في المناظر الجنسيّة، فالجسد كلّه يظل في حالة إثارة مستمرّة، والغرائز تكون متنبّهة فتزداد حساسيّة الأعضاء شيئاً فشيئاً بميكانيكيّة تلقائيّة تتخطّى كلّ قوّة وكل احتراس أو كبت، والشعور بالحرمان يُزيد الإثارة أكثر. إذن، فبداية إصلاح هذا النشاط الجنسي المفتَعَل غير الطبيعي لا يبدأ بالجسد ولكن يبدأ بالفكر.

ولكي يعود الفكر إلى بساطته الأولى يلزم تفريغ العقل من ذخائره في المحرّمات ومحفوظاته من الجنسيّات، لأنّ التفكير في أمور الجنس بغير الزواج يُزيد من الإحساس بالحرمان. هنا يلزم للإنسان أن يُسلِّم عقله الباطن لروح القداسة لكي يتنازل عن ارتباطه السابق بالمناظر والمواقف والخبرات الجنسيّة التي اختزنها خلسة والتي يعْبر عليها أولاً بأوّل، لأنّه منذ اللحظة التي يبدأ فيها الإنسان، باتفاق كلّي مع ضميره، يكشف قلبه للّه ويعرض كافّة النقائص التي تَعَلَّقَ بها مع **الشعور بتفاهتها**، يبدأ يقل إنطباعها في الذهن شيئاً فشيئاً إلى أن تنمحي آثارها. كذلك يلزم أن لا يُبقي الإنسان في قلبه أفكاراً أو مناظر يحتفظ بها لنفسه ولا يَعرضها على اللّه، سواء في الصلاة باستمرار أو في إعترافاته، لأنّ هذه تُعتبر جيوباً للعقل الباطن.

إغلب الشعور بالحرمان الجنسي بأن تقبله وترضى به:

ولكي يتخلّص الإنسان من الشعور بالحرمان الجنسي الذي يُعتَبر المُثير الأوّل للأفكار والحواس، وخاصّة عند مواجهة الجنس الآخر، يلزم الإعتراف به بأمانة أمام اللّه وقبوله بدون مداراة أو تعال أو كبت، فيعترف الإنسان أنه قَبِلَ ذلك الحرمان الجسدي وارتَضى به سِرّاً وعلناً إكراماً للطهارة وتَقديساً للروح، معتبراً أنّه قد أقدَمَ عليه بإرادته كذبيحة يقدّمها للّه من نفسه وجسده وشعوره؛ لأنّ حفظ الطهارة للّه يُعتبر ذبيحة حيّة من صلب الجسد، تحوي أرَقَّ المشاعر ولا تَقل عن تقديم الحياة نفسها. والمعروف أن الرضَى بالحرمان يُلغي معنى الحرمان، أما قبولُه بفرح فيلغي تأثيره السَلبي على الأجهزة الباطنيّة في الإنسان.

إختن عينيك بسكّين النعمة:

عمليّة ختانة العينين لإنتزاع شهوة التلذّذ الجنسي منها وضبطها بدقّة حتى تكفّ عن التفرّس في الوجوه عامة وبالأخصّ إذا كانت مُغَرِّرة، تُعتبر من أهم وصايا التدبير الروحي. ومركز مراقبة العينين وضبطهما وختانتهما يبدأ في المخدع حينما يُقَدِّم الإنسان عينيه للّه ليُقَدّسهما ويُطهّرهُما بمسحة الروح القدس.

وقد قَدّمنا ختانة العينين على ختانة القلب والضمير وتفريغهما من الميول الجنسيّة، لأنّ حتى ذوي القلوب الطاهرة إذا لم يضبطوا أعينهم تماماً فسوف تتسلّل لهم العثرات من خلال التطلّع في الوجوه عندما يكون التطلُّع بلا احتراس أو لياقة.

إذن، فضبط العينين وصيّة أولى وهامّة وعامّة. ومن المُفيد جداً عندما يتطلّع الإنسان في وجه امرأة، تحت اضطرار الظروف، أن يربط قلبه في الحال باللّه سرّاً ويجعل تفكيره جديّاً حازماً ويتجنّب المزاح. أي أن ضرورة اعتياد الفصل بين الفكر والعين وقت النظر إلى الوجوه أمر حيوي لِمَنْ يُريد سلامة نفسه وطهارة تدبيره.

وهذا سرٌّ من أسرار القدّيسين، لأنّهم إذا اضطروا أن يتطلعوا لوجوه الناس فإنّهم حالاً ينسونها فلا يتذكّرون أشكالها ويكتفون بذكر أسمائها أمام اللّه.

إختن قلبك بعهد أبدي:

أمّا الخطوة الثانيّة لتقديس الفكر، فهي ختانة القلب والضمير وتفريغهما من الميول الجنسيّة والتلذّذ بها. لأنّ انشغال الفكر بالتخيُّلات والمناظر الجنسيّة مبعثه الأصلي اشتهاء قلبي لهذه الأمور. فمهما حاوَلَ الإنسان أن يقطع عنه الأفكار والتصوّرات الجنسيّة قبل أن يلغي من قلبه وضميره اشتهاءها والتلذّذ بها فعبثاً يحاول حتى ولا بحرق الجسد. وختانة القلب تعني قطعاً حاداً، وتعني ألماً شديداً. ولن ينفع الإنسان أن يُبغض الشهوة مرّة ويميل إليها مرّة، يجحدها اليوم ويتودّد إليها غداً، يلعنها علناً ويُسامرها سرّاً.

الأمر يحتاج إلى تعهّد قلبي أمين كما فعل أيّوب: «عهداً قطعت لعينيَّ»، وذلك أمام اللّه القدير، مع نُطق علَني بشهادة النيّة الخالصة أمام الملائكة، بأن يكفَّ الإنسان كفّاً نهائيّاً عن الإنشغال الباطل بالأمور الجنسيّة ومناظرها سواء في خارج البيت أو داخله، على أن يقطع بأنّ لا يُعطي فرصة للعين ولا الأذن لرؤية أو سماع شيء عن هذه الأمور ويتخذ كل الإجراءات التي تكفل له ذلك **بكل حزم**.

وعلى الإنسان أن يتحقّق من إخلاص نيّته بتفتيش ضميره كل يوم. وأكبر برهان على نجاح خلوص نيّة الإنسان في الكفّ عن إشتهائه الباطل للأمور الجنسيّة، يظهر في هدوء الفكر قليلاً قليلاً وتوقُّف التصورات الشريرة التي كانت تلاحق الإنسان.

على أن مقدار النجاح واستمراره سيتوقفان على نوع التعهُّد القلبي الذي سيقدّمه الإنسان أمام اللّه للكفِّ عن الإنشغال الباطل بالأمور الجنسيّة، فالتعهّد ينبغي أن يكون:

أولاً: عن إقتناع روحي وليس عن اضطرار جسدي.

ثانياً: يكون بإحساس مَنْ سَيَكسَب وليس بإحساس مَنْ سيخسَر.

ثالثاً: يكون برَضى وفرح داخليين وليس بكآبة وحزن.

رابعاً: أن يكون على أساس الإستمرار فيه حتى الموت وبدون تراجع أو مُهادنة لأيّ ظرف، حتى وبعد الزواج، لأنّ الزواج لا يعني ولا يحتمل الإنشغال الذهني بالأمور الجنسيّة.

وبهذا يصبح التعهد إيجابيّاً محضاً، بمعنى أن يكون التعهّد خالياً من الكبت والكآبة والندم والإستثناءات وتمنّي الرجوع فيه.

ومن المفيد أن يكرّر الإنسان هذا التعهّد أمام اللّه بنطق الفم وبالقلب في عدّة مناسبات مقدّسة.

على أنّ أي إخلال في التعهّد من جهة الإنسان، بسبب عثرة العين أو سقطة الضمير، فهو ليس كفيلاً بأن يُلغي التعهّد إطلاقاً، لأنّ اللّه الذي هو طرف ثانٍ فيه سيبقى أميناً بالرغم من عدم أمانتنا، كما أنّه سيستمرّ في معونتِه بلا توقف؛ فلا ينبغي أن ييأس الإنسان قَط، لأنّ ضعف الإنسان معلومٌ لدى القدير وعثرة الإنسان لَنْ تلغي كثرة مراحم اللّه بأي حالٍ من الأحوال. ■

تفسير القداس الإلهي

الأب المتوحّد غريغوريوس (الجبل المقدّس - جبل آثوس)
تعريب الشمّاس سلوان موسي - دير سيّدة البلمند البطريركيّ

تتمة من العدد السابق

التسبيح الشروبيمي

يتألّف "**الدخول الكبير**" من سلسلة تسابيح وصلوات وممارسات يقوم بها الكاهن والشعب. يبدأ الشعب بترتيل التسبيح الشروبيمي بينما يقوم الكاهن بتلاوة الإفشين المرتبط بهذا التسبيح.

وتدعونا الكنيسة إلى الاستعداد لاستقبال ملك المجد الآتي إلى المدينة المقدّسة. تدعونا للاستعداد لنسير معه في طريق الشهادة فنقف قربه عند الصليب مع أمّه الكليّة القداسة والتلميذ "الذي أحبّه".

فلنطرح عنّا الآن ، كما يقول التسبيح ، كلّ اهتمام دنيويّ لأنّنا عازمون أن نستقبل ملك الكلّ. فلنُسْرِع خُطانا من عالم المشاغل المعيشيّة واهتماماتها ، لكي "**ندخل**" إلى مَكان حضور المسيح: "لقد خَرَجَ المجوس من بلاد فارس وأتوا ليسجدوا للمسيح. إبْتَعِد أنتَ أيضاً عن الإهتمامات الدنيويّة وأسرع نحو المسيح" ، يقول لنا الذهبيّ الفم.

وفي مكان آخر، يشير علينا بالقوّة الروحيّة التي سنرتفع بها فوق كلّ أمر عابر ومنظور: إنّها محبّة اللّه. "إذا ما التهب أحدهم في داخله بمحبّة اللّه ، فإنّه لا يحتمل بعدُ ما يقع تحت ناظريه الحسيّين. بل، إذ قد اكتسب ناظرَين آخرين، أقصد عين الإيمان، فهو على الدوام مستغرق بالأمور السماويّة وإليها ينجذب فكره. وبينما يسير على الأرض، يبدو وكأنّه يعيش في السماء ، وهو في كلّ شيء يفعل ويتصرّف على هذا النحو ... وإذ يحدوه الشوق أن يرتفع من الأرض إلى السماء ، يتخلّى عمّا هو منظور، حتى يكون بمقدوره الصعود إلى القمّة نفسها".

نفقد صبرنا لكثرة ما نرغب البلوغ إلى قمّة الجلجثة لنعيّد عيد المسيح. لذلك تخلّينا عن الإهتمامات المختلفة: "لأنّ هذا هو العيد الحقيقيّ، حيثُ خلاص النفوس، وحيثُ السلام والوئام، حيثُ انتفى كلّ ما هو عالميّ. هناك هو العيد حيثُ لا يركض الطبّاخون ولا تُذبَح حيوانات ، بل يسود سكون وهدوء وصفاء وفرح وسلام ووداعة وخيرات لا تحصى عِوَض الإهتمامات الدنيويّة" (اقوال يوحنا الذهبي الفمّ).

ونستودع في يديّ المسيح كلّ همّ معيشيّ أو بالأحرى نستودعه كلّ حياتنا. وهو يرفع حملنا ويصعد إلى الجلجثة. هو الذي يهتمّ لحاجات حياتنا: "إذ جعلتم كلّ همّكم في اقتناء ملكوت السموات ، يقول لنا الربّ على لسان القدّيس اسحق، فإنّي لن أحرمكم ضرورات وحاجات الطبيعة المنظورة".

ويقول الذهبيّ الفم: "إنّ النفس التي لم تتعلّم أن تزدري الصغائر والهموم المعيشيّة، ليس باستطاعتها أن تتأمّل السماويّات وتعجب بها". ويحثّنا أولئك الذين تذوّقوا نعمة السماويّات بالقول: يا إخوة ، "لا يدخل أحدكم إلى الكنيسة محمّلاً باهتمامات دنيويّة، ومخاوف وقلق. ،لكن إذ قد وضعنا هذه كلّها خارجاً، عند باب الكنيسة، فلندخل جميعنا، فإنّنا ندخل إلى البلاط السماويّ، ونطأ أماكن كليّة الضياء".

القديس تيخون - جبل آثوس

إلى مثل هذه الأماكن نَقَلَ الآب تيخون ملاكُهُ الحارس ساعة التسبيح الشروبيمي. كان هذا الكاهن الروسيّ يقول بالقليل من اليونانيّة التي عرفها: ﴿ساعة التسبيح الشروبيمي ، ملاك حارس يرفعني ، وبعد نصف ساعة ملاك حارس آخر ينزلني. عندئذ ينتبه رجل اللّه القدّيس أنّه يُقيم القدّاس الإلهيّ ، وأنّ عليه أن يتابعه: «ما هذا ، أنا أقيم القدّاس الإلهيّ!» وكان يتابع القدّاس ، وكانوا يسألونه: «أيها الشيخ، ماذا رأيت وسمعت في نصف الساعة تلك» فيجيب: «شروبيم وسرافيم يسبّحون اللّه»﴾.

يدخل الربّ إلى المدينة المقدّسة **ليُذبَح** ، "محفوفاً" من المراتب الملائكيّة. والكنيسة تدعونا إلى إجلال هذا السرّ الساميّ ، سرّ محبّة المسيح، بصمت: "ليصمت كلّ ذي جسد بشريّ. وليقف بخوف ورعدة ، فلا يفتكر في نفسه فكراً أرضيّاً ، فإنّ ملك الملوك وربّ الأرباب يوافي ليُذبَح وَيُعطَى مأكلاً للمؤمنين. وتتقدّمه صفوف الملائكة وكلّ الرئاسات والسلطات والشروبيم ، الكثيرو العيون والسرافيم ذوو الستّة الأجنحة وهم يحجبون وجوههم ويهتفون مرنمين بالتسبحة هلليويا". (التسبيح الشروبيمي يوم السبت العظيم).

ويقول **الكاهن** إفشين الشروبيكون:

ليس أحد من المرتبطين بالشهوات واللذّات الجسدانيّة مستحقّاً أن يتقدّم إليك أو يدنو منك أو يخدمك يا ملك المجد. لأنّ الخدمة لك عظيمة ورهيبة عند القوّات السماويّة نفسها أيضاً. لكنّك لأجل محبتك للبشر غير الموصوفة وغير المحدودة صرت إنساناً بلا استحالة ولا تغيّر وحصلت لنا رئيس كهنة. وبما أنّك سيّد الكلّ سلّمتنا خدمة هذه الذبيحة الكهنوتيّة غير الدمويّة، لأنّك أيّها الربّ إلهنا أنت وحدك تسود

السماويّين والأرضيّين. الراكب على كرسي الشروبيم ، وربّ السرافيم ، وملك اسرائيل القدّوس وحدك والمستريح في القدّيسين ، فإليك إذاً أتضرّع أيّها الصالح والسميع الحسن وحدك. أنظر إليّ أنا عبدك الخاطىء والبطّال. وطهّر نفسي وقلبي من الضمير الرديء. واجعلني كفوءاً بقوّة روحك القدّوس إذ أنا لابس نعمة الكهنوت أن أقف لدى مائدتك هذه المقدّسة. وأخدم جسدك المقدّس الطاهر ودمك الكريم لأنّي إليك أتقدّم حانياً عنقي وأطلب منك فلا تصرف وجهك عنّي ولا ترذلني من بين عبيدك. لكن ارتض أن تُقَدَّم لك هذه القرابين منّي أنا عبدك الخاطىء وغير المستَحقّ ، لأنّك أنت "المُقَرِّب والمُقَرَّب ، والقابل والمُوَزَّع" أيّها المسيح إلهنا ، ولك نُرسل المجد ، مع أبيك الذي لا بدء له وروحك الكلّيّ قدسه ، الصالح والصانع الحياة ، الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين. آمين.

هو كلّ شيء في كلّ شيء لأجلنا

بينما يستعدّ المؤمنون "**للدخول الكبير**" ولذبيحة المسيح ، يتهيّأ أيضاً خدّام السرّ من خلال سلسلة أفاشين وممارسات.

أولاً إفشين التسبيح الشروبيمي. من خلاله يقرّ الكاهن ويعترف بعدم استحقاقه وبعظمة السرّ الإلهيّ المدعو إلى خدمته. لكنّه يتقدّم نحو المائدة بالضبط لأنّه لا يتكل على قواه الخاصّة ، بل على الرحمة الإلهيّة. يعتمد على بحر المحبّة الإلهيّة للبشر ، لأنّ اللّه لمحبّته للبشر ، صارَ إنساناً ، ومحبّته للبَشر ، وهَبْتَنا هذا السرّ ، سرّ خدمة الذبيحة غير الدمويّة. ولم يأت المسيح فقط مرّة ، وإلى الأبد ، ليُقدّم ذاته ، لكنّه يأتي بشكل متواصل في كلّ قدّاس ، فهو الذي يُقَرِّب ويُقَرَّب ، الذي يقتبل الذبيحة وفي الوقت نفسه يتوزّع على المؤمنين: "المُقَرِّب والمُقَرَّب ، والقابل والمُوَزَّع".

المسيح وحده يُنجز سرّ خلاصنا ويكمله. هذا الحدَث هو الأساس الذي يستند عليه سرّ القدّاس الإلهيّ ، كما يكتب البّار نيقولاوس كاباسيلاس، "فالمسيح هو في الوقت نفسه المغذّي والغذاء ، إنّه مَن يَمنَح خبز الحياة ، وهو نفسه يمنحنا ذاته. هو حياة كلّ النّاس ، والطبيب لكلّ الذين يتنفّسون، والرداء لكلّ الذين يريدون أن يَرْتَدُوا. هو الذي بفضله نستطيع أن نسير ، وهو الطريق ، وهو أيضاً نهاية الطريق". ويلاحظ القدّيس أبيفانيوس:

"هوذا (أي المسيح) **ذبيحة ، كاهن ، مائدة مقدّسة ، اللّه ، إنسان ، ملك ، رئيس كهنة ، خروف ، حَمَل** ، كلّ شيء في كلّ شيء لأجلنا ، حتى تكون لنا حياة بكلّ طريقة".

صارَ المسيح كلّ شيء لأجل الإنسان: هو الكاهن الذي يقدِّم، الحَمَل المُقَدَّم ، اللّه الذي يقتبل التقدمة. فيض المحبّة الإلهيّة حمل إلى العالم فيض الحياة الإلهيّة. ونحنُ نقتبل العطيّة الإلهيّة ونشكر الربّ: "نشكرك أيّها الربّ إله خلاصنا ، لأنّك تصنع كلّ شيء إحساناً إلى حياتنا ، لكي ننظر إليك في كلّ حين أيّها المخلّص والمُحسن إلى نفوسنا"

وبعد الإفشين ، يقول **الكاهن** ثلاثاً: أيها الممثّلون الشروبيم سرياً . . . لنطرح عنّا كلّ اهتمام دنيويّ. **والشمّاس** يختمه قائلاً: لكوننا مزمعين أن نستقبل ملك الكل محفوفاً من المراتب الملائكيّة بحال غير منظور. هلّلويّا ، هلّلويّا ،هلّلويّا .

ثُمَّ يبخّر **الكاهن** المائدة المقدّسة من جهاتها الأربعة ، المذبح ، الأيقونات والشعب. وبينما هو يبخّر يقول في ذاته: إذ قد رأينا قيامة المسيح (إذا كان يوم أحد ، أو عندما يجب أن تُقال) ثُمَّ: هلم نسجد ونركع ... (ثلاثاً) ، فالمزمور الخمسون إلى أن يبلغ إلى القول: "حينئذ تُسَرّ بذبيحة البرّ ...".

ثُمّ يسجد المشتركون في الخدمة ثلاثاً أمام المائدة المقدّسة ، ويُقَبّلون الأنديمنسي قائلين هذه الطرباريّات الخشوعيّة:

أيّها المخلّص إنّي خطئت إليك مثل الإبن الشاطر، فاقبلني تائباً يا أبتاه اللهمّ وارحمني.

أيّها المسيح المخلّص ، إنّي أصرخ إليك بصوت العشّار ، فاغفر لي مثله اللهمّ وارحمني.

ثمّ ينحني كلّ واحد أمام المشتركين معه في الخدمة قائلاً: إغفروا لي يا إخوتي ومشاركيّ في الخدمة. ومن ثمّ ينحني أمام الشعب عند الباب الملوكيّ قائلاً: اغفر يا اللّه للذين يحبّوننا وللذين يبغضوننا.

ثمّ يتوجّه إلى المذبح المقدّس ، ويسجد ثلاثاً للقرابين الكريمة قائلاً:

يا اللّه اغفر لي أنا الخاطىء وارحمني. وهكذا يصنع الشمّاس.

يتبع في العدد القادم

موظف السكة الحديدية

إنّ أحد موظّفي السكة الحديديّة كان قد حَضَر أحد الإجتماعات الدينيّة ، وسَمِعَ عظة حارّة عن قول المسيح «إنّ من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبديّة ولا يأتي إلى دينونة بل قد إنتقل من الموت إلى الحياة» وَبِحُكم وظيفته ومفهوميّة لغتها قَسَّمَ العظة كالآتي:

١) «إنّ من يسمع كلامي» هذا قَرَّبني إلى رصيف الخلاص.

٢) «ويؤمن بالذي أرسلني» هذا أركبني قطار الخلاص.

٣) «فله الحياة الأبديّة» هذا أعطاني كرسيّاً في الدرجة الأولى.

٤) «ولا يأتي إلى دينونة» هذا قفل الباب وأغلقه لضماني.

٥) «بل إنتقل من الموت إلى الحياة» هذه الشفرة المكتوبة على التذكرة ، ثمّ قال «**لقد أمسكت بهذه الآية وعليها أقف الآن**».

هذا الرجل سمع كلام الله فأثمرت فيه الكلمة وسافر بها إلى الحياة الأبديّة.

الصوم

للقديس باسيليوس الكبير أسقف قيصرية كبادوكية

المقدّمة:

«أنفخوا في رأس الشهر بالبوق وفي يوم احتفال عيدكم الكبير» (مز٨٠:٤). هذا أمر نبوي. أما بالنسبة لنا، فإن مقاطع إشعيا التالية تنبئ بعيد الأيام المقبلة بصوت يفوق كل بوق من حيث قوته وكل آلة موسيقية من حيث خاصيّتها. هذه الأقوال تدع جانباً الصوم اليهودي وتُظهر لنا الصوم الحقيقي على طريقته القويمة: «عندما تصومون انظروا أن لا تكونوا في خصومة أو مشاجرة مع الناس الآخرين، بل اجعلوا حداً لكل ظلم طارئ» (إشعيا ٥٨:٤-٦). أما الرب يسوع فيقول: «متى صمتم فلا تكونوا عابسين. . . أما أنت فاغسل وجهك وادهن رأسك» (متى ٦:١٦-١٧). لأنه لا يكلّل أحد ولا يحوز على راية الظفر إن كان وجهه عابساً أو قاتماً.

لا تكونوا عابسين وأنتم تستعيدون صحتكم. فإنه لا بدّ لنا أن نتهلل لصحة نفسنا، ولا مجال للحزن بسبب تَبَدّل الطعام وكأننا نؤثر ملذّات البطن على منفعة نفسنا، لأن الشبع يقف إحسانه عند حدود البطن، أما الربح الناتج عن الصوم فهو يَنفذ إلى النفس. كُن فَرِحاً لأنك أعطيت من قِبَل طبيبك دواء ينـزع الخطايا. لا تبدّل وَجهك كما يفعل المراؤون. إن الوجه يتبدل عندما يظلم الداخل مع التظاهر الخارجي، وكأنه مخفي وراء ستار كاذب.

المرائي هو الذي يكون له على المسرح وجه آخر. يرتدي قناع السيّد وهو في الحقيقة عبد. يلبس قناع الملك وهو بالحقيقة من عامة الناس. هكذا أيضاً في الحياة الحاضرة، كثيرون يتظاهرون وكأنهم على المسرح. يكونون على كل شيء في عمق القلب ويتظاهرون بوجه آخر أمام الناس. أما أنت فلا تبدّل وجهك. كما أنت هكذا أظهر للآخرين. لا تبدّل مظهرك عابساً ساعياً وراء الشهرة عن طريق التظاهر بالصوم

والإمساك، لأنه لا نفع للإحسان الذي يُطبَّل له ، ولا ثمر للصوم الذي يُشَهّر أمام الناس، أي كل ما يقوم به الإنسان بغية التظاهر أمام الآخرين لا ينفذ إلى الدهر ولا يتخطى حدّه مدح الناس. أسرع بفرح إلى هبات الصوم. إنّه هبة قديمة العهد لا تعتق ولا تشيخ، بل تتجدد وتزهر على الدوام.

تاريخ الصوم:

ربما تظن أنني سأعيد قدَم الصوم إلى مرحلة الناموس الموسوي. الصوم هو أقدم من ناموس موسى. ومع قليل من الصبر ستقتنع من كلامي هذا. لا يخطر ببالك الظن بأن بداية الصوم تعود إلى يوم الكفّارة الذي حُدّد لإسرائيل في العاشر من الشهر السابع (لاويين٢٣:٢٧). هلمّ تقدم أكثر في التاريخ وأبحث عن قدمه. فإن نظام الصوم لم يبتكر في الأزمنة الحديثة. إن هذه الجوهرة هي من ميراث آبائنا. كل شيء يتميز بقدمه جدير بالاحترام والإجلال فاحترم إذاً وجهه الشاحب. الصوم هو من عمر الإنسانية نفسها. لقد شُرِّع له في الفردوس. إن آدم هو الأول الذي تقبّل الوصية للصوم «من شجرة معرفة الخير والشر لا تأكل» (تكوين٢:١٧). العبارة «**لا تأكل**» ما هي إلا شريعة صوم وإمساك.

لو أن حواء لم تأكل من ثمر العود لما كنّا بحاجة إلى الصوم الحاضر. «لأن الأصحاء لا يحتاجون إلى طبيب بل المرضى» (متى٩:١٢). لقد ترتّب علينا كثير من الشرور بسبب خطايانا، فلنعالجها إذاً عن طريق التوبة. لكن التوبة بدون صوم لا تأتي بثمر. «إن الأرض ملعونة بسببك وسوف تنبت شوكاً وحسكاً» (تك٣:١٧-١٨). لقدّ تسلّمت وصية التعرّف ضمن حدود ولم تعطَ أن تستسلم للذات الجسد. حسابك لله يكون عن طريق الصوم. إن العيش في الفردوس يعكس صورة الصوم. لا لأن الإنسان كان يتشبه بالملائكة عن طريق القناعة، بل أيضاً لأنه لم يكن ليعرف في الفردوس كل ما ابتكره الناس بعد ذلك من شرب خمر وذبائح حيوانية وكل ما يعكّر صفو ذهن الإنسان.

لقد طُردنا من الفردوس لأننا لم نصم. فلنصم إذاً حتى نعود إليه. ألم ترَ كيف أن الفقير لعازر دخل الفردوس عن طريق الصوم (لوقا١٦)؟ لا تتشبّه بمعصية حواء وتتبع مشورة الحية. لا تتحجج بالمرض الجسدي. إن هذا التعلل لا يتوجّه إليَّ بل إلى ذلك الذي يعرف حقائق الأمور بالضبط. تقول لي لا أستطيع أن أصوم، لكنك تقدر على إشباع البطن طيلة عمرك وعلى إجهاد جسدك بثقل المآكل التي تتناولها. إنني اعلم من جهتي أن الأطباء يصفون الصوم دواء للمرضى، لا كثرة المآكل. كيف تقدر من جهة على إشباع البطن وتدّعي من جهة أخرى أنك لا تقدر على الصوم؟ ما هو الأسهل بالنسبة للبطن؟ أن تمضي الليل هادئاً، مع قليل من الطعام، أم أن تستلقي على الفراش مثقلاً بكثرة المآكل؟ أو قُل بالأحرى أن تتقلب متنهداً ومواجهاً خطر القيء من كثرة الأطعمة؟ أو أنك تريد أن

تقنعني أنه اسهل على البحارّة أن ينقذوا من الغرق مركباً مثقلاً بالحمولة من أن ينتشلوا مركباً قليل الحمولة وخفيفاً. هذا لأن المركب الثقيل ما أن ترفعه الأمواج قليلاً حتى يشرف على الغرق، بينما يسهل على المركب الخفيف أن يتجاوز العاصفة لأنه لا يصعب عليه أن يرتفع فوق الأمواج وأن الأجساد التي تُثقَّل بالأطعمة بصورة متواصلة معرّضة أكثر للأمراض إلا أننا عندما نتناول طعاماً خفيفاً متوازناً، نتجنّب شرَّ المرض كما يتجنّب المركب الخفيف العاصفة وينجو... إلاّ إذا اعتبرت، حسب رأيك، أن الاستراحة أضمن من الركض و الهدوء أشدَّ من العراك. فإذا صحَّ قولك هذا يكون أفضل للمرضى أن ينتفخوا بالمآكل بدل أن يكتفوا بالطعام الخفيف. طعام خفيف يسدّ حاجة كل حيّ للغذاء أفضل من مأكل كثير يثقله، لأنّه مع كثرة الأطعمة تتعكر عملية التغذية بدخول أمراض متنوعة .

ولكن لنتقدم في تاريخ الصوم ونَتَقَصَّ قدَم تشريعه. كيف تَقَبَّله القديسون جميعاً كميراث آبائي ومارسوه بدقّة مسلّمين إياه من أب إلى ابنه إلى أن وصل إلينا بالتسلسل. لم يُعرف الخمر في الفردوس (كما ذكرنا) ولا الذبائح الحيوانية ولا أكل اللحوم. لقد عرف اللحم والخمر بعد الطوفان لأنه أوصي عند ذلك «بأن كل حيّ يدبّ كبقول العشب» (تك٩:٣). عندما يئس البشر من بلوغ الكمال الروحي حينئذ سمحوا لأنفسهم بالتمتع بكل شيء. والبرهان على أن البشر لم يعرفوا الخمر هو نوح كان يجهل استعمال الخمر: لم يرَ أحداً يستخدمه وهو لم يذقه هو شخصياً، لذلك حدث له ما حدث من أذى من جراء عدم احتياطه. «ابتدأ نوح بحرث الأرض وغرس كرماً وشرب من الخمر وسكر»(تك٩:٢٠-٢١)، لا لأنه كان سكيراً بل لعدم خبرته في شرب الخمر باعتدال. إن شرب الخمر بعيد عن مرحلة الفردوس بقدر ما يبتعد الصوم الشريف في قِدَم زمنه.

ونعلم أيضاً أن موسى لم يجرؤ على الاقتراب من جبل سيناء والصعود إليه إلاّ بعد صوم طويل. لم تكن له الجرأة على الصعود إلى الجبل المدخّن ولا الشجاعة على الدخول في وسط الغمام الذي غطاه (خر٢٤:١٨) لو لم يتسلّح بالصوم. عن طريق الصوم تسلّم الوصايا العشر التي دُفعت إليه على لوحين من حجر مكتوبين بإصبع اللّه (خر٣٤:٢٨)، بينما في أسفل الجبل دفعت الشراهة الشعب إلى عبادة الأوثان، لأنه جلس يأكل ويشرب ثم قاموا كلَّهم يلعبون. البقاء على الجبل أربعين يوماً وابتهال عبد اللّه المؤمن، كل ذلك لم يجد نفعاً مقابل يوم واحد من السُكر والعربدة. وبعبارة أخرى، إن لوحي الوصايا التي أتت عن طريق الصوم مكتوبة بإصبع اللّه حطمها السُكر، لأن النبي موسى حكم أن الشعب المستسلم للسكر لم يكن يستحق استلام الوصايا الإلهية (خر٣٢:١٩) بالنسبة للشعب الذي عرف اللّه الحقيقي والصانع له العجائب، لحظة واحدة كانت كافية ليعود ويغرق في وثنية المصريين. فاجعلوا أمامكم إذاً الأمرين وقارنوا بينهما: أنظروا أن الصوم من جهة يقرّب الإنسان إلى اللّه، بينما التمتع من جهة أخرى يقضي على خلاص نفسه .

لكن لنتابع طريقنا ونتقدم في التاريخ. مَنْ الذي أضعفَ موقف عيسو وجعله عبداً لأخيه؟ أليس هو طعام تناوله وباع من أجله بكوريته لأخيه (تك٢٥:٣١-٣٤)؟ في المقابل، يُهدَ صموئيل لأمّه عن طريق الصلاة والصوم (١ملوك ١:٧-١١)؟ ما الذي جعل شمشون الكبير لا يُقْهَر، أليس هو الصوم الذي ساهم في الحبل به؟ لأن الملاك أوصى به لأمه قائلاً لها: «والآن فاحفظي ولا تشربي خمراً ولا مُسكراً ولا تأكلي شيئاً نجساً لأنك ستحملين وتلدين ابناً سيكون ناسكاً للّه من بطن أمه إلى يوم وفاته» (قضاة١٣:٧).

الصوم يُوَلّد أنبياء، يجعل المشرّعين حكماء. هو كنز صالح للنفس، وسكناه فيها ضمانة. هو سلاح المجاهدين ورياضة المتبارين. هو الذي يبعد التجارب ويحثّ على التقوى. يواكبه انتباه روحي متواصل. **الصوم يولّد العفّة**. في الحروب يصنع الرجال، وفي السلم يعلّم الهدوء. يقدّس المكرّس للّه، يجعل الكاهن يتقدم أكثر قي طريق الكمال، لأنه لا يمكن للكاهن بدون صوم أن يخدم العبادة الإلهية الحاضرة والسريّة فحسب بل حتى العبادة الناموسية التي لموسى أيضاً.

الصوم هو الذي أَهَّل إيليا لتلك الرؤية العظيمة، لأنه بعد أن طَهَّر نفسه بالصوم مدّة أربعين يوماً أُهِّل لرؤية الرب في مغارة حوريب بقدر ما يستطاع للناس أن يروا اللّه (٣ملوك ١٩:٨-١٥). وقد أقام ابن الأرملة بعد صوم (٣ملوك ١٧:٢٠-٢٣) متغلباً هكذا على قوة الموت. من فمه، وبعد صوم طويل، خرج الصوت الذي حبس السماء معاقباً الشعب بسبب معصيته، وكان ذلك لمدة ثلاثة سنين وستة أشهر (١٧:١)، لأنه إذ أراد أن يطرّي قلوب الشعب القاسية فضّل أن يحكم على نفسه معهم بالشقاء. لذلك قال:«حيّ الرب... إنه لا يكون ندى ولا مطر إلاّ عند قولي». وفرض الصوم عن طريق الجوع الذي حلّ مع الجفاف من أجل تقويم الشعب الذي كان استسلم للملذات الجسدية واستفحل الضلال في عيشه.

وأيضاً كيف كانت حياة أليشع؟ بأية طريقة استضافته المرأة الشونمية؟ فكيف أطعم الأنبياء الذين استضافهم؟ ألم تقتصر ضيافته على بعض البقول البريّة وقليل من الطحينّ؟ لأنه عندما وضعت البقول خطأً في القدر تعرّض الآكلون للموت من جراء الأعشاب المسمَّمة. فجاءت بركة النبي الصوّام وأبطلت فعل السمّ (٢ملوك ٤:٣٨-٤٤).

بكلمة واحدة، لدى فحص الأمور، تجد أن الصوم كان مرشداً لجميع القديسين ، سلوكهم كان وفقاً لوصايا اللّه.

هناك جسم طبيعي هو الأميانط (amiante) لا يحترق في النار ويبدو فيها وكأنه يصير فحماً، لكن عندما يُنشل منها ويغسل بالماء يزداد لمعاناً. وهكذا استبان مع أجسام الفتية الثلاثة لأنها كانت نقية. لقد وُجدوا في لهيب الأتون وكأن أجسادهم من ذهب لا من لحم وعظام، وظهروا عند خروجهم أبهى مما كانوا عليه (دانيال٣). طبعاً برهنوا على أنهم أسمى من الذهب لأن النار لم تُشوّه مظهرهم بل حفظتهم بلا عيب. فمن كان يستطيع أن يحتمل مثل هذا اللهيب الذي كان يوقد بالنفط والزفت والزرجون حتى ارتفع فوق الأتون تسعاً وأربعين ذراعاً وانتشر وأحرق الذين صادفهم حول الأتون من الكلدانيين؟ دخل الفتية الثلاثة الحريق بعد أن صاموا قبلاً فاستنشقوا اللهيب وكأنه نسيم عليل مندّي. لم تجسر النار على الاقتراب من شعر رأسهم لأنهم كانوا قد تغذوا بالصوم.

أما دانيال رجل الرغائب الذي طيلة ثلاثة أسابيع لم يأكل خبزاً ولا شرب خمراً، فقد علّم الأسود أيضاً أن تصوم عندما أُلقي في الجب. وكأن جسمه مصنوع من حجر أو من نحاس أو من مادة جامدة أخرى لم تقوى عليها الأسود بأسنانها. كما أن السقي يجعل الفولاذ أشد وأمتن، هكذا بطريقة مشابهة تقوّى جسم دانيال من جراء الصوم. جعله لا يُقْهَر أمام الأسود التي لم تجرؤ أمامه حتى على أن تفتح أفواهها (دانيال٦).

فضائل الصوم:

الصوم أخمد أجيج النار، الصوم سدَّ أفواه الأسود (عب١١:٣٣). الصوم يرفع الصلاة إلى السماء وكأنه يعطيها أجنحة تخوّلها الطيران إلى فوق. الصوم يُعمر البيوت، يُعنى بالصحة كأم. هو مربٍّ للشباب ومزيّن للمتقدمين في السن. مرافق حسن للمسافرين وضمانة لكل من يساكنه. لا يشك الرجل بامرأته عندما يراها تصوم، كما لا تغار المرأة من رجلها عندما تراه يصوم بانتظام.

من الذي قضى على ثروته من جرّاء الصوم؟... لا ينقص شيء منها عن طريقه. هو يريح الطباخين قليلاً من العمل. تقتصر المائدة على الطعام القليل. لقد أعطي السبت لليهود «لكي يستريح فيه ثورك وحمارك وكذلك عبدك» (خر٢٣:١٢). ليكن الصوم فرصة استراحة سنوية للخدام من أتعابهم المتواصلة. يستريح الطباخ قليلاً من عمله. يأخذ مدبر المواد مأذونية. لا يعود يسكب خمراً في كأسك، وتتوقف صناعة الحلويات المختلفة، من الدخان، من رائحة الشوي، من كل من يسرع هنا وهنا كمن أجل خدمة البطن وكأنه السيد الذي لا يكفيه شيء. كان من عادة جامعي الضرائب أن يريحوا الملزمين قليلاً في وقت من الأوقات من دفع الضريبة. فليُعطَ بطنك استراحةً ما للفم، ويلجأ محبة منا إلى السكينة. هو الذي لا ينفك يطالب بالمآكل وإن نسي اليوم يعطي غداً ما كان قد تناوله البارحة. عندما يمتلئ يتكلّم عن فلسفة الإمساك، وعندما يفرغ ينسى ما كان قد علّمه في وقت شبعه.

الصوم لا يعرف ما هو الدَّيْن... ابن الصوّام اليتيم لا تخنقه ديون والده ملتفة حول عنقه كالحيات. ومن جهة ثانية الصوم مناسبة للابتهاج. كما أن العطش يجعل الشرب مستحباً، كذلك الصوم المسبق يجعل المائدة مستحبة والطعام أشهى، لأنك إن أردت أن تجعل مائدتك لذيذة وشهية اعتمد الصوم الذي يخلق مثل هذا التبدّل. أما أنت، الذي تتسلّط عليك شهوة التمتع بالأطعمة، فإنك تفقد بهذه الطريقة ملذاتها وتقضي على المتعة واللذة من جراء شهوتك وهو محبة اللذة. لا شيء يُشتهى ويتمتع به المرء بصورة متواصلة ولا يزدري به في النهاية. كل شيء نادر مستحق التمتع به. هكذا شاء الخالق عن طريق التبدل في العيش أن يديم التمتع بما وهبنا من نعَم. ألا ترى الشمس مستحبة أكثر بعد انتهاء الليل؟ والاستيقاظ بعَد النوم، والصحة بعد المرض، والمائدة أيضاً بعد الصوم، أكان ذلك للأغنياء الذين تفيض عندهم المآكل أم للفقراء القانعين بالطعام القليل؟.

أذهَب في مثال ذلك الغني لأن التمتع بالمآكل طيلة حياته سلّمه إلى نار جهنّم (لوقا١٦). لقد أُدين لا لظلمه بل لأنه كان يعيش في التنعم الدائم. لذلك أخذ يحترق في نار الأتون. والصوم يفيدنا، ليس فقط من أجل الحياة الأبدية، بل يفيد أيضاً، جسدنا البشري. إن الرفاهية الزائدة تجرّ سقطات لاحقة، لأن الجسم يتعب ولا يستطيع أن يحمل ثقل الأغذية الكثيرة. أحذر ألاّ تزدري اليوم بالماء حتى لا تشتهي فيما بعد على مثال الغني نقطة واحدة منه. لم يسكَر أحد من الناس من شرب الماء ولا أصابه صداع بسببه، ولا تعبت رجلاه أو يداه منه أيضاً.

إن عسر الهضم الذي يرافق عادةً كثرة الطعام والشراب هو الذي يولّد أمراض الجسد الصعبة. وجه الصائم محتشم، لونه لا يحمّر بصورة فاقعة، بل يتزين بلون شاحب يعكس عفة صاحبه. عيناه هادئتان وكذلك مشيته. هو رصين الطلعة لا يستجلب الضحك. أقواله متّزنة وقلبه نقي. تذكّر القديسين القدماء الذين «طافوا هنا وهناك في جلود غنم معوزين مكروبين مذلّين» (عب١١:٣٧). تمثّل بحياتهم إن رُدَّت أن تشترك في نصيبهم.

القديس يوحنا المعمدان

في العهد الجديد:

من الذي أراح لعازر في أحضان إبراهيم (لوقا١٦)؟ أليس هو الصوم؟ حياة القديس يوحنا السابق كان صوماً مستمراً. لم يكن له لا سرير ولا مائدة طعام، لا أرض مفلوحة ولا حيوان يعلفه، لا قمح، لا رداء ولا شيء مما تحتاج إليه الحياة الحاضرة. لذلك لم يوجد فيما بين الناس أعظم من يوحنا المعمدان. وأيضاً الصوم هو الذي رفع بولس الرسول إلى السماء الثالثة (٢كو١٢:٢-٤). يأتي في ذكره على تعداد أحزانه والافتخار بها (كو٦:٥و١١:٢٧). وعلى رأس ما أتيت على ذكره حتى الآن يأتي مثال ربنا يسوع المسيح نفسه، الذي عن طريق الصوم، حافظ على الجسد الذي أخذه من أجل خلاصنا. بالصوم ردّ عنه هجمات الشيطان معلّماً إيانا بهذه الطريقة أن نهيئ أنفسنا وأن ندرّبها من أجل مواجهة التجارب.

لقد أخلى الرب ذاته وتنازل مقدماً هكذا فرصة لقاء مع الشيطان ومحاربته. فإنه لم يكن بمقدور العدو أن يقترب عن طريق أُخرى من السيد بما أنه إله، لو لم يتنازل إلى مصاف البشر «مخلياً ذاته آخذاً صورة عبد». وقد تناول طعاماً حتى بعد القيامة لكي يثبت بهذه الطريقة جسده القائم له طبيعة مادية.

أما أنت الذي تحشو بطنك بالمآكل، ألا تلاحظ رخاوتك من جراء ذلك، ألا تتفوه بكلمة عندما ترى ذهنك يجف بسبب فقدان الأقوال المحيية الخلاصية المغذية إيانا؟ أم تجهل أن من يتخذ حليفاً ينجح في التغلب على العدو؟ هكذا فإن الذي يضيف على جسده شحماً يقاوم الروح. كم أن الذي يجعل للروح حليفاً مساعداً يسيطر على جسده. ذلك لأن الروح مناهض للجسد حتى أنك إن أردت أن تقوّي ذهنك لجأت إلى الصوم من أجل إخضاع جسدك. هذا ما يتفق مع كلام بولس الرسول الذي يقول: «أن كان إنساننا الخارجي يفنى فالداخلي يتجدد يوماً فيوماً» (٢كو٤:١٦)، أو «حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوي» (٢كو١٢:١٠).

وفي العهد القديم:

ألا تزدري بالمآكل التي بكثرتها تفسد؟ ألا ترغب في مائدة الملكوت التي يهيِّئها الصوم دائماً في الحياة الحاضرة؟ من الذي، عن طريق كثرة الطعام واستمرار التمتع الجسدي، نال مرةً موهبةً روحيَّة ؟ لقد لجأ موسى إلى الصوم مرة ثانية من أجل تقبل الوصايا ثانية (خر٣٤:٢٨). لو لم يصم أهل نينوى حتى مع بهائمهم لما نجوا من وعيد الخراب (يونان٣:٤-١٠). من هم الذين تناثرت أعضاء أجسادهم وعظامهم في الصحراء؟ أليسوا هؤلاء الذين اشتهوا أكل اللحم؟ عندما قنعوا بالمن والماء الفائض من الصخرة انتصروا على المصريين وعبروا البحر على اليبس، ولم يكن فيما بينهم ذو علّة. لكن ما أن اشتهوا اللحوم المطبوخة حتى عادوا إلى مصر ولم يروا أرض الميعاد.

ألا تخشى من التشبه بهم؟ ألا ترعبك شهواتك التي ربما تحرمك من الخيرات السماوية؟ النبي دانيال لم يكن ليشاهد مثل هذه الرؤى لو لم ينقِّ نفسه مسبقاً عن طريق الصوم (دانيال١:١٨-٢٠). إن كثرة الطعام تجرّ نوعاً من خيالات تشبه غيوماً سوداء تقطع استنارات الذهن بالروح القدس. إن كان للملائكة طعام فما هو إلا الخبز كما يقول النبي:«أكل الإنسان خبز الملائكة» (مز٧٧:٢٥). لا اللحم، لا الخمر ولا شيء آخر يشتهيه ذوو محبة البطن.

الصوم سلاح أمام جنود الشياطين. «لأن هذا الجنس لا يخرج إلاّ بالصوم والصلاة» (متى١٧:٢١). حسناته لا تُعَدّ. أما نتيجة الشراهة فهي الهلاك، لأن التمتع بالمأكل والسكر وما إليها تجرّ مباشرة كل نوع من أنواع الخلاعة التي تليق فقط بالبهائم. فالسكر يولّد في النفس حب التمتع باللذات الجسدية والزنى. . .بينما الصوم، يساعد حتى الزوجين على نوع من الاتزان الجنسي ويحدّ من المبالغة في التمتع الجسدي، مما يساعد كثيراً على الاستمرار في حياة الصلاة.

فضائله على صعيد أوسع:

لكن حسنات الصوم لا تقتصر على الابتعاد عن الأطعمة الشهية، لأن الصوم الحقيقي هو في الابتعاد عن كل شرّ. الحد من كل عمل ظالم، الابتعاد عن كل ما يحزن الآخر بل إعانته في كل ما يحتاج إليه (إشعيا٥٨:٦). لا تصوموا وأنتم في نزاع مع الآخرين. أنت لا تأكل لحماً بل ترغب في مأكل لحم أخيك. تمتنع عن شرب الخمر، لكنك لا تقطع لسانك عن التجديف. تنتظر هبوط الليل لكي تفطر بينما تمضي النهار كلَّه في المحاكم. الويل للسكارى من غير شرب الخمر. الغضب ما هو إلا سكر للنفس لأنه يُخرج الإنسان عن صوابه كما يفعل فيه الخمر. الحزن أيضاً نوع من السُكر لأنه يُظلم الفكر. والخوف أيضاً نوع آخر عندما لا يبرر مصدره. لذلك يقول المزمور:«نجِّ نفسي من خوف العدو» (مز٦٣:٢). وبصورة عامة الأهواء النفسية المختلفة التي تسبب اضطراباً للذهن يمكن اعتبارها نوعاً من السُكر.

أنظر جيداً إلى الغاضب كيف يصبح من شدة غضبه كالسكران، لا يعود يسيطر على نفسه، لا يلاحظ حاله ويتجاهل وجود الآخرين. كما في حرب ليلية يضرب عشوائياً. يتفوه بكلام غير لائق، يشتم، يضرب، يهدد، يحلف، يصرخ وكأنه على وشك الانفجار. تجنب مثل هذا النوع من السكر كما ولا تَسْكر أيضاً بالخمر. لا تفضل شرب الخمر على الماء، حتى لا يسوقك السُكر نفسه إلى الصوم. لا يمكن للسُكر أن يكون مقدمة للصوم المبارك كما أن الطمع لا يقود إلى العدالة. كذلك لا تستطيع عن طريق الخلاعة أن تصل إلى العفة وبصورة عامة عن طريق الرذيلة أن تصل إلى الفضيلة. الصوم له مدخل آخر. السُكر يقود إلى الخلاعة، أما العفّة فهي تقوده إلى الصوم.

كما أن المتباري يتدرّب ويتروّض مسبقاً، كذلك الصائم يجب أن يتعفف من قبل. لا تخزّن خمراً في معدتك خلال أيام الفسحة الخمسة وكأنك تريد أن تعادل أيام الصوم وتضحك على صاحب الوصية. إن تعبك سيذهب باطلاً مجهداً جسدك دون أن تعوّض له في أيام الإمساك. تخزن في جرّة مثقوبة، يتسرّب منها الخمر ويجري في طريقه، أما الخطيئة فتبقى وحدها في مكانها.

العبد يهرب من سيده عندما يضربه. وأنت تنوي البقاء مع الخمر وهو يضربك كل يوم على رأسك؟ إن افضل مقياس لشرب الخمر هو حاجة الجسد. إن تخطيت هذا الحد يأتي وجع الرأس، تثاؤب، تستنشق رائحة الخمر المخلّل، كل شيء حولك يدور ويضطرب. السُكر يقود إلى النوم الذي يشبه الموت أو الصحو الذي يشبه الحلم.

أتعلم يا ترى من هو مزمع أن يأتي وتتقبله؟ هو الذي وعدنا بقوله:«نأتي أنا وأبي وعنده نصنع منزلاً»(يوحنا١٤:٢٣). لماذا إذاً تسرع عن طريق السُكر وتوصد الباب أمام الرب؟ هو يطرد الروح القدس. كما أن الدخان يطرد النمل كذلك تهرب المواهب الروحية من السُكر.

فأجابهم يسوع : هذا الجنس من الشياطين لا يخرج إلا بالصوم والصلاة

الخلاصة:

الصوم حشمة المدينة، سكينة الأسواق، سلام العائلات وضمانة لموجوداتنا. أتريد أن تتعرّف إلى وقاره؟ قارن بين الليلة الحاضرة والنهار المقبل، تجد أن المدينة تتبدّل وتنتقل من السكينة الكليّة إلى الضجة والاضطراب.

أرجو أن يتشبه نهار غد باليوم الحاضر من حيث السكينة والوقار دون أن يفقد شيئاً من بهجته. عسى أن يعطينا الرب الذي أهَّلنا للوصول إلى مثل هذا اليوم ما يهب عادة للمجاهدين الأشداء فإنه بمواظبتنا على الجهاد والصبر سوف يؤهِّلنا أن ندرك ذلك الذي يوزّع فيه الأكاليل، أن نصل ههنا إلى أيام ذكر آلام الرب وفي الدهر الآتي إلى مجازاتنا حسناً على أعمالنا حسب حكم المسيح العادل الذي يليق له المجد إلى الأبد. آمين. ■

خميس الأسرار

(تأسيس سر الإفخارستيا)

للقديس كيرلس - رئيس أساقفة الأسكندريّة

«وجاء يوم الفطير الذي ينبغي أن يُذبح فيه الفصح. فأرسَل بطرس ويوحنا قائلاً : إذهبا وأعدّا لنا الفصح لنأكل ، فقالا له : أين تُريد أن نعد ؟ فقال لهما: إذا دخلتما المدينة يستقبلكما إنسانٌ حاملٌ جرّة ماء ، اتبعاه إلى البيت حيثُ يدخل وقولا لرب البيت يقول لكَ المعلّم أين الغرفة التي آكل فيها الفصح مع تلاميذي ؟ فيُريكما عليّة كبيرة مفروشة ؛ هناك أعدّا ، فانطلقا ووجدا كما قال لهما. فأعدّا الفصح. ولما كانت الساعة جلسَ للأكل والأثنا عشر رسولاً معه ، وقال لهم: شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألّم . لأنّي أقول لكم إنّي لا آكل منه حتى يكمل في ملكوت اللّه » (لوقا ٢٢: ٧-١٦).

كيرللس الاسكندري

إنّ النّاموس بظلاله سَبَقَ فأشارَ منذ القديم إلى سرّ المسيح ؛ والمسيح نفسه يشهد عن هذا عندما قال لليهود: « لو كنتم تصدّقون موسى لكنتم تصدّقونني لأنّه هو كتبَ عنّي» (يو ٥:٤٦). ففي كلّ موضع (في النّاموس) توضح الظلال والمثالات لنا، المسيح مذبوحاً لأجلنا «كالحمل» الذي بلا عيب حقاً ،كما توضحه مُقَدِّساً إيّانا بواسطة دمه المعطي الحياة .. ، وبالإضافة إلى ذلك فإنّنا نجد كلمات الأنبياء القدّيسين في توافق تام مع كلمات موسى الحكيم جداً ، كما يقول بولس «لكن لّما جاء ملء الزمان» (غل ٤:٤). الزمان الذي كان فيه كلمة اللّه الوحيد على وشَك أن يُخلي ذاته ، وأن يحتمل الولادة بالجسد من إمرأة ويخضع للناموس ، بحسَب القياس المناسب للطبيعة البشريّة ، وبعد ذلك قدّم نفسه ذبيحة لأجلنا ، مثل الحَمَل الذي بلا عيب حقّاً ، في اليوم الرابع عشر من الشهر الأوّل (خروج١٢:١٨).وهذا العيد كان يُدعى "الفصح"، وهي كلمة باللغة العبريّة وتعني العبور (بَساح من بيسَح أي عبَرَ) لأنّهم هكذا يفسرّونها ويقولون إن هذا هو معناها.

إذن يجب أن نشرح ما هو هذا الشيء الذي نَعبُر منه وما هو البلَد الذي نسير نحوه ، وبأي طريقة نحقّق مسيرتنا ، فإنّه كما أن إسرائيل قد أُنقذَ من طُغيان المصريين وفك عنقه من نير العبوديّة وصارَ حُرّاً ، وإذ هَرَب من عنف الطاغية ، فإنّه عَبَرَ بأقدام جافّة ـ بطريقة عجيبة يعجز اللسان عن وصفها ـ وسَط البحر ، وارتحل تجاه الأرض الموعود بها ؛ هكذا نحنُ أيضاً الذين قَبلنا الخلاص الذي في المسيح يجب علينا ألاّ نرضى بالبقاء بعد في أخطائنا السابقة ، وألاّ نستمر في طُرُقنا الشريرة بل بشجاعة نَعبُر بحر اضطراب هذا العالم الباطل ، وعواصفه. وهكذا فإنّنا نعبر من محبّة الجسد إلى التعفّف ؛ من جهلنا السابق إلى معرفة اللّه الحقيقيّة ؛ من الشرّ إلى الفضيلة ؛ ونَعبُر بالرجاء من لوم الخطيّة إلى أمجاد البرّ ؛ ومن الموت إلى عدَم الفساد. لذلك فإنّ العيد الذي حَمَلَ فيه عمانوئيل صليب الخلاص لأجلنا يُسمَى **الفصح**.

لكن لننظر إلى الذي هو الحقّ والذي لا يزال يُكَرّم بالرموز التي كانت تشير إليه ، وهو لا يزال يسمح للظلال بأن تكون صادقة ، إذ يقول النص: «ولما جاءَ يوم الفطير الذي كان ينبغي أن يُذبح فيه الفصح» ، فأرسَلَ للمدينة تلميذَيْن مختارَيْن من الرُسل القدّيسين، وهما بطرس ويوحنا قائلاً: «سوفَ يستقبلكما إنسانٌ حاملٌ جرّة ماء ، إتبعاه إلى البيت حيثُ يدخُل ، وقولا لرب البيت: يقول لك المعلّم أين الغرفة التي آكل فيها الفصح مع تلاميذي ؟» لكن ربما يقول أحدهم لماذا لم يذكر لهما بوضوح اسم الرجل الذي أرسلهما إليه ؟ لأنّه لم يَقُل: عندما تمضون إلى فلان أو فلان ـ وهناك أعدّا الفصح في بيته ، لكن فقط أعطاهما علامة ـ «إنسانٌ حَاملٌ جرّة ماء». فبماذا نُجيب على هذا الكلام ؟ أنظروا ! فإنّ يهوذا الخائن كانَ قد سَبَقَ فَوَعَدَ اليهود أن يُسلمه لهم وكان مستمراً في صحبته (للمسيح) يَرقُب فرصة ليسلمه وبينما كان لا يزال يُعلن الحبّ الواجب من التلميذ لمعلّمه فإنّه قد سَمَحَ للشيطان أن يدخل قلبه ، وكان يتمخّض بجريمة القتل ضدّ المسيح مُخَلّصنا جميعاً. لذلك أعطى المسيح علامة (للتلميذَيْن) لكي يمنعه من معرفة مَنْ هو ذلك الشخص، فَيُسرع يهوذا ليُخبر أولئك الذين استأجروه. لذلك قال: «يستقبلكما إنسانٌ حاملٌ جرّة ماء».

أو ربما يتكلّم المسيح هكذا ليشير بهذا إلى سرٍّ مهم ، لأنّه حيثُ تدخل المياه ـ أي المعموديّة المقدّسة ـ فهناك يسكن المسيح ، كيف أو بأيّة طريقة ؟ ذلك لأنّها تحرّرنا من كل نجاسة ، **وَنُغْسَل** بواسطتها من أدناس الخطيّة ، ولكي نصير أيضاً هيكلاً مُقَدّساً للّه وشركاء في طبيعته الإلهيّة بشركة الروح القدس. لذلك فلكي يستريح المسيح ويُقيم فينا ، فلنقبل المياه الخلاصيّة معترفين أيضاً بالإيمان الذي يبرّر الأثيم . ولكي يرفعنا عالياً لكي ما نُحَسب **عليَّة** ، لأنّ أولئك الذين يسكن فيهم المسيح بالإيمان لهم ذهنٌ مرتفعٌ عالياً ، يبغض الزحف على التراب ، ويرفض الإلتصاق بالأرض ، وفي كلّ شيء يطلب ما هو سام في الفضيلة ، لأنّه مكتوب: «لأنّ أعزاء اللّه قد ارتفعوا عالياً (فوق الأرض)» (مز ٤٦:٩س)، «لأنّ ليسَ لهم هنا مدينة باقية لكنّهم يطلبون العتيدة» (انظر عب ١٣:١٤) ، وبينما هم يسيرون على الأرض ، فإنّهم يفكّرون في تلك الأمور التي فوق ، وسيرتهم (مدينتهم) هي في السماء (انظر فيلبي ٣:٢٠).

يمكننا أيضاً أن نلاحظ أمراً صحيحاً وعجيباً ، يحدث دائماً بيننا وأعني به أن من يُقَدِّرون حياتهم الجسدانيّة كثيراً ، عادةً يكونون منتفخين وقلوبهم مملوءة من الكبرياء الملعونة والمكروهة من اللّه ؛ لكن مع ذلك ربما يؤتى بهم إلى الإنكسار (فيما بعد) وهم لا يزالون على الأرض ؛ بينما أولئك المساكين بالروح ينالون الرفعة بواسطة الكرامة والمجد اللذين يأتيان من اللّه. كما يكتب تلميذ المسيح قائلاً: «ليفتخر المتضع بارتفاعة ، وأمّا الغني فباتضاعه لأنه كزهر العشب يزول» (يع ١:٩-١٠). لذلك لا يخطىء من يقول إنّ نفس كل قديس هي " **عِلِّيَّة** " .

بعد ذلك لما **أَعَدَّ** التلاميذ الفصح ، أكل المسيح معهم، ولكونه طويل الأناة مع الخائن ، فإنّه تفضّل بقبوله على مائدة الفصح بدافع شفقته المملوءة حُبّاً وغير المتناهية ؛ لأنّ يهوذا كان قد صارَ خائناً إذ أن الشيطان كان ساكناً فيه. وقال المسيح لرُسُله القدّيسين: «شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم» . لنفحص المغزى العميق لهذا التعبير ، ولنفتّش عن المعنى المُختفي فيه ، وما الذي كان يقصده المخلّص.

لذلك حيثُ إنّني سَبَقَ أن قلت إنّ التلميذ الطمّاع كان يطلب فرصة ليسلمه ، ولكي لا يسلّمه لقاتليه قبل عيد الفصح ، فإنّ المخلّص لم يُعلن لا عن البيت ولا عن الشخص الذي سيحتفل عنده بالعيد ، ولكي يشرح لهم سبب عدَم رغبته في أن يُصَرّح له علانيّة بإسم من سيذهب عنده ، قال لهم: «شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم» ؛ وكأنّه يقول: إنّني اجتهدت بكل حذر لكي أتمكّن من الإفلات من خبث الخائن ، لكيلا أحتمل آلامي قبل وقتها.

«ولكنّي لا آكل منه بعد حتى يكمل في ملكوت اللّه» . وبهذا الكلام أيضاً ينطق المسيح بحقيقة عميقة وسريّة ، لكن هو نفسه يكشف معناها لنا لأنّ من عادته أن يطلق اسم "ملكوت السموات" على "التبرير بالإيمان" ، وعلى التطهير الذي يتم بالمعموديّة المقدّسة وشركة الروح القدس وعلى تقديم العبادة الروحيّة التي صارت الآن ممكنة بالدخول في وصايا الإنجيل. لكن هذه الأشياء هي الوسائط التي تجعلنا شركاء في المواعيد وفي المُلك مع المسيح ؛ لذلك يقول: لن أقترب من مثل هذا الفصح بعد ذلك ، أي ذلك الفصح الذي يتكوّن من أكل رمزي ـ لأنّ حَمَلاً من القطيع ذُبحَ ليكون مثالاً للحمل الحقيقي (ويكمل) «حتى يكمل في ملكوت اللّه». أي إلى حين مجيء الوقت الذي فيه يُكرَز بملكوت السماوات. لأن هذا يتحقّق فينا نحنُ الذين نكرّم العبادة التي هي أعلا من الناموس والتي هي الفصح الحقيقي، فالذي يُقَدِّس الذين هم في المسيح ليسَ خروفاً من القطيع ، بل بالحري **المسيح نفسه** (هو الذي يقدّسهم). **الذي جُعِلَ "ذبيحة مقدّسة" لأجلنا، "بتقديم قرابين" غير دمويّة ، وتقديم "الشكر" السرّي ، الذي فيه ننال "البركة" ونُعْطَى الحياة بالحياة ،** لأنّه هو صارَ لنا الخبز الحي الذي نزَل من السماء والذي يُعطي الحياة للعالم (انظر يو ٦:٣٣، ٥٠) .

« ثمّ تناول كأساً وشكر وقال: خذوا هذه واقتسموها بينكم ، لأني أقول لكم إنّي لا أشرب من نتاج الكرمة حتى يأتي ملكوت اللّه ، وأخذ خبزاً وشكر وكسَّرَ وأعطاهم قائلاً: هذا هو جسدي الذي يُبذل عنكم. إصنعوا هذا لذكري. وكذلك الكأس أيضاً بعد العشاء قائلاً: هذه الكأس هي للعهد الجديد بدمي الذي يُسفك عنكم ، ولكن هوذا يد الذي يسلمني هي معي على المائدة ، وابن الإنسان ماضٍ كما هو محتوم ، ولكن ويلٌ لذلك الإنسان الذي يُسلمه ! » (لوقا ٢٢:١٧-٢٢)

أنه أمرٌ يملأنا بكل بركة أن نصير شركاء المسيح بالذهن وبالحواس ، لأنّه يحلّ فينا ، أولاً ، بالروح القدس ، فنصير نحنه مسكنه ، بحسب ما قاله في القديم أحد الأنبياء القديسين: «لأنّي سأسكن فيهم وأقودهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً» (حز ٣٧:٢٧).

لكنّه هو أيضاً يحلّ داخلنا بطريقة أخرى بواسطة مشاركتنا في قربان التقدمات غير الدمويّة التي نحتفل بها في الكنائس ؛ إذ قد تسلّمنا منه النموذج الخلاصي للطقس مثلما يرينا بوضوح الإنجيلي المبارك في النص الذي قرأناه منذ قليل ، فهو يخبرنا أنّه: «تناول كأساً وشكر وقال: خذوا هذه اقتسموها بينكم». وبتقديمه الشكر ـ الذي يُقصَد به التحدّث مع اللّه الآب في صيغة صلاة ، فإنّه يعني بالنسبة لنا أنّه ـ إن جازَ القول ـ يشارك ويُساهم مع الآب في مسرّته الصالحة في مَنحه لنا البركة المُحيّية التي أُسبغَت علينا حينئذ ، لأن كلّ نعمة وكل مَوهبة تامّة تأتي إلينا من الآب بالإبن في الروح القدس. وإذن فهذا العمل كان نموذجاً لنا لكي نستخدمه في الصلاة التي ينبغي أن تُقَدَّم ، كلّما بدأنا أن نضع أمامه نعمة "التقدمة السريّة المحيّية" ، وتبعاً لذلك فإنّنا اعتدنا أن نفعل هذا ، لأنّنا إذ نقدّم أولاً تشكراتنا ، مقدّمين تسابيحنا للّه الآب ومعه الإبن والروح القدس ، فإنّنا نقترب هكذا من الموائد المقدّسة مؤمنين أن ننال حياة وبركة ؛ روحيّاً وجسديّاً، لأنّنا نستقبل في داخلنا كلمة الآب الذي صار إنساناً لأجلنا ، والذي هو الحياة ومُعطي الحياة.

لذلك فلنسأل على قدر استطاعتنا ، ما هو الرأي الذي نعتقد به عن هذا السرّ ؟ لأنّه واجبٌ علينا أن نكون «مستعدّين لمجاوبة كلّ من يسألنا عن سبب الرجاء الذي فينا» كما يقول الحكيم بطرس (١بط٣:١٥). لأنّ «إله الكُل خَلَقَ كلّ الأشياء للخلود ، وبدايات العالم كانت حياة ، لكن بحسد إبليس دخَلَ الموت إلى العالم» (حكمة٢:٢٤) فقد كانت تلك الحيّةالمتمرّدة هي التي قادت الإنسان الأوّل إلى تعدّي الوصيّة وإلى العصيان، والتي بواسطتها سقطَ تحت اللعنة الإلهيّة ،

وفي شبكة الموت ، فقد قيل له: «لأنّك تراب وإلى التراب تعود» (تك٣:١٩). فهل كان من الصواب أن ذلك الذي خُلِقَ للحياة والخلود يصير مائتاً ومحكوماً عليه بالموت بدون أية إمكانيّة للهروب؟ هل ينبغي أن يكون حَسَد إبليس أكثر قوّة وثباتاً من إرادة اللّه ؟ ليس الأمر هكذا ؛ بل إنّ حَسَد إبليس قد أخفق تماماً ؛ ورحمة الخالق قد فاقت النتائج الشرّيرة لخبثه. فقد أعطى اللّه معونة لأولئك الذين على الأرض. فماذا إذاً كانت الطريقة التي ساعدهم بها ؟ إنّها طريقة عظيمة بالحقّ ورائعة وجديرة باللّه ، نعم ، جديرة لأقصى درجة بالعقل الأعلى (باللّه). لأنّ اللّه الآب هو حياة بطبيعته ؛ ولكونه هو وحده حياة ، فقد جعل الإبن الذي هو أيضاً حياة ، أن يضيء ويُشرق. لأنّه لا يمكن أن يكون الأمر بخلاف ذلك مع ذاك الذي هو الكلمةَ الذي صَدَرَ جوهريّاً من الحياة ، لأنّه يلزم ـ **أقول يلزم** ـ أن يكون هو نفسه أيضاً حياة ، لكونه هو الذي نبع من الحياة ، نبع من ذاكَ الذي وَلَدَهُ.

لذلك فإنّ اللّه الآب يُعطي الحياة لكل الأشياء بالإبن في الروح القدس ؛ وكل ما يوجد ويتنفّس في السماء وعلى الأرض ، إنّما يأخذ وجوده وحياته من اللّه الآب بالإبن في الروح القدس. لذلك ، لا طبيعة الملائكة ولا أي شيء جاءَ من عدم الوجود إلى الوجود ، يمتلك حياة (في ذاته) كثمرة لطبيعته الخاصّة ؛ بينما على العكس ، فالحياة تنشأ ـ كما قلت ـ من الجوهر الذي يفوق الكلّ ، وهو أمر خاص به وحده أن تكون له القدرة على إعطاء حياة ، وذلك بسبب أنه هو بالطبيعة الحياة.

إذن ، فكيفَ يُمكن للإنسان على الأرض ، الذي هو ملتحف بالموت أن يعود إلى عدَم الفساد (عدم الموت) ؟. أُجيب بأنّه يلزم لهذا الجسد المائت أن **يُصَيَّر** شريكاً للقوّة المحيّية التي تأتي من اللّه. لكن قوّة اللّه الآب المحيّية هي **الكلمة الوحيد الجنس** ، وهو الذي أرسله لنا (الآب) كمخلّص ومحرّر. أما كيف أرسله لنا ، فهذا ما يخبرنا به بوضوح يوحنا الإنجيليّ المبارك عندما يقول: «والكلمة صارَ جسداً وحلّ فينا» (يو١:١٤). لكنّه صارَ جسداً دونَ أن يَخضَع لأيّ تغيّر أو تحوّل إلى ما لم يكونه ، ودون أن يتوقّف عن أن يكون هو الكلمة ـ لأنّه لا يَعرف ما معنى أن يُعاني ظلّ تغيير ، بل بالحريّ بكونه وُلِدَ بالجسد مِن إمرأة وأخذَ لنفسه ذلك الجسد منها ، لكيما إذ قد غَرَسَ نفسه فينا باتحاد لا يقبل الإنفصال ، يمكنه أن يرفعنا فوق سلطان الموت والأنحلال كليهما معاً. وبولس هو الشاهد لنا ، حيثُ يقول عنه وعنّا: «فإذ قد تشارَكَ الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما ، لكي يُبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس ، ويُعتق أولئك الذي خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبوديّة ، لأنّه حقّاً ليس يمسك الملائكة بل يمسك نسل إبراهيم ، مِنْ ثَمَّ كان ينبغي أن يشبه إخوته في كلّ شيء» أي يشبههنا (عب٢:١٤-١٧). لأنّه صارَ مثلنا ، وكسى ذاته بجسدنا ، لكيما بإقامته إيّاه (الجسد) من الموت ، **يُعِدَّ** ـ من الآن فصاعداً ـ طريقاً يُمكن به للجسد الذي وُضِعَ (أُذل) حتى الموت ، أن يَعُودَ من جديد إلى عَدَم الفساد (عدم الفناء) . لأنّنا مُتَّحدون به مثلما كُنّا أيضاً مُتَّحدين بآدم. عندما جَلَبَ على نفسه عقوبة المَوت. وبولس يشهد لهذا ، إذ كَتَبَ هكذا في أحد المرّات: «فإنّه إذ الموت بإنسان ، بإنسان أيضاً قيامة الأموات» (١كو١٥:٢١). ويقول أيضاً : «لأنّه كما في آدم يموت الجميع ، هكذا في المسيح سَيُحيا الجميع» (١كو١٥:٢٢). لذلك فإنّ الكلمة ، إذ وَحَّدَ مع ذاته ذلك الجسد الذي كان خاضعاً للموت ، فلكونه اللّه والحياة ، فقد طَرَدَ منه الفساد (الإنحلال)، وجعله أيضاً يصير مصدر الحياة ؛ لأنّه هكذا ينبغي أن يكون جسد ذاك الذي هو الحياة.

ولا تكونوا غير مُصَدِّقين لما قلته ، بل بالحري اقبلوا الكلمة بإيمان بعد أن جمعتُ براهين من أمثلة قليلة . عندما تطرحون قطعة خبز في خمر أو زيت أو أي سائل آخر ، فستجدون أنّها صارت تحمل خاصيّة ذلك السائل الخاصّ ، وعندما يوضع الحديد في النّار ، فإنّه يصير ممتلئاً بكل فاعليّتها ؛ وبينما هو بالطبيعة حديد ، لكنّه يعمل بقوّة النار. وهكذا كلمة اللّه المحيي ، إذ قد وَحَّدَ نفسه بجسده الخاص بطريقة معروفة لديه (فقط) ، فقد منحه قوّة إعطاء الحياة. وهو نفسه يؤكّد لنا هذا بقوله: « الحقّ أقول لكم مَن يؤمن بي فله حياة أبديّة ، أنا هو خبز الحياة» (يو٦:٤٧-٤٨). وأيضاً : «أنا هو الخبز الحيّ الذي نزل من السماء ، إن أكَل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد ، والخبز الذي أنا أُعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم . الحقّ الحقّ أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه ، فليس لكم حياة فيكم. من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبديّة وأنا أقيمه في اليوم الأخير ، لأنّ جسدي مأكلٌ حقٌّ ، ودمي مشربٌ حقٌّ ، من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه ، كما أرسلني الآب الحي ، وأنا حي بالآب ، فمن يأكلني فهو يحيا بي» (يو٦:٥١،٥٣-٥٧). لذلك عندما نأكل الجسد المقدّس الذي للمسيح مخلّصنا جميعاً ، ونشرب دمه الثمين ، تكون لنا حياة فينا ، بكوننا جُعلنا واحداً معه ، كائنين فيه ومقتنين له أيضاً فينا.

لذلك ، كان يليق به أن يكون فينا إلهيّاً بالروح القدس ، وكذلك أيضاً ـ إن جازَ القول ـ يمتزج بأجسادنا بواسطة جسده المقدّس ودمه الثمين ، اللذين نقتنيهما أيضاً كإفخارستيّا مُعطية للحياة في هيئة الخبز والخمر ، إذ ، لئلا نرتعب برؤيتنا جسداً ودماً (بصورة حسيّة) فعليِّه ، موضوعين على الموائد المقدّسة في كنائسنا ، فإنّ اللّه إذ وَضَعَ (أنزَلَ) ذاته إلى مستوى ضَعفاتنا ، فإنّه يسكب في الأشياء الموضوعة أمامنا قوّة الحياة ، ويحوّلها إلى فاعليّة جسده ، لكيما نأخذها لشركة معطية للحياة ، وكي يوجد فينا جسد (ذاك الذي هو) الحياة ، كبذرة تنتج حياة. **ولا تشكّ في أنّ هذا حقيقيّ**، حيثُ إنّه هو نفسه قال بوضوح: «**هذا هو جسدي ، هذا هو دمي**» ، بل بالحريّ إقبل كلمة المخلّص بإيمان ، لأنّه كما يقول يوحنا الحكيم جداً : «مَن قَبِلَ شهادته فقد خَتَمَ أنّ اللّه صادق ، لأنّ الذي أرسَله اللّه يتكلّم بكلام اللّه» (يو٣:٣٣-٣٤). لأنّ كلام اللّه هو طبعاً صادق ولا يُمكن أبداً أن يكون كاذباً ، لأنّه وإن كُنّا لا نفهم بأيّة طريقة يعمل اللّه مثل هذه الأعمال ، لكن هو نفسه يعرف طريقة (عمل) أعماله. لأنّه عندما لم يفهم نيقوديموس كلمات الرب المختصّة بالمعموديّة المقدّسة وقالَ بجهل: «كيفَ يمكن أن يكون هذا» (يو٣:٩). فإنّه سَمِعَ المسيح يُجيب قائلاً : «الحقّ الحقّ أقول لك إنّما نتكلّم بما نعلم ونشهَد بما رأينا ولستم تقبلون شهادتنا ، إن كنتُ قلتُ لكم الأرضيّات ولستم تؤمنون ، فكيف تؤمنون إن قلتُ لكم السماويات ؟» (يو٣:١١-١٢). لأنّه كيف يمكن لإنسان أن يعرف تلك الأشياء التي تعلو على قدرات إدراكنا وعقلنا ؟ لذلك **فلنكرّم سرّنا الإلهيّ** هذا ، بالإيمان ... (ممجّدين المخلصَ) الذي به ومعه يليق للّه الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين. ■

آلام المسيح الطوعية

للقديس يوحنا الذهبي الفم

(يو١٨: ١)

قالَ يسوع هذا وخرج مع تلاميذه إلى عِبر وادي قدرون حيثُ كان بستان دخله هو وتلاميذه

ذهب إلى الألم بإرادته

يُعتَبر الموت أمراً رهيباً يبعث على الخوف الشديد، ولكن ليس للذين يعرفون الحكمة السمائيّة. فالموت يُعتبر إنحلالاً ونهاية للحياة للذين ليس لديهم معرفةً واضحةً عن الأمور المستقبليّة. لذا يكون من الطبيعي أن يرتعبوا ويخافوا على أساس أنّهم ماضون نحو العَدَم. أمّا بالنسبة لنا نحن الذين تعلّمنا ـ بنعمة الله ـ الأمور غير المعروفة وخفايا حكمته ، فَنَعتَبر الموت إنتقالاً من هذه الحياة الحاضرة إلى الحياة الأخرى. لذا ليسَ من الصواب أن نرتعب ، بل أن نفرح ونبتهج. لأنّنا ، إذ نترك هذه الحياة الفانية ، ننتقل إلى الأخرى. إلى حياة أفضَل جداً وأكثر بهاءً وبلا نهاية.

هذا هو ما علّمه المسيح بأعماله، فقد ذَهَب إلى الألم ليسَ عن قهر أو إجبار ، بل بإرادته. « قال يسوع هذا وخرج مع تلاميذه إلى عبر وادي قدرون حيثُ كان بستانٌ دخله هو وتلاميذه، وكان يهوذا مسلِّمه يعرف الموضع لأن يسوع اجتمع كثيراً مع تلاميذه» (يو١٨: ١-٢). لقد تمشّى في منتصف الليل، وعَبَرَ الوادي ، وسارَ ليَذهب إلى المكان الذي كان معروفاً للخائن. هكذا لم يُتعب أولئك الذين تشاوروا معه (أي مع يهوذا الإسخريوطي) وجَنَّبَهم التعب والحيرة بشأن المكان الذي يوجد فيه. وبذلك برّهَنَ لتلاميذه على أنّه أتى إلى المكان الذي سوفَ يُلقى فيه القبض عليه ، بإرادته ، الأمر الذي يُمكن أن يُعَزِّيهم. وجاءَ بنفسه إلى البستان ، كما لو كان يتعمّد أن يُسلِّم نفسه إليهم.

هذا هو ما يعنيه بقوله: «قالَ يسوع هذا». لقد كان يتحدّث مع بطرس بالتأكيد. وبالتأكيد كان يُصلّي. وأتساءل: لماذا أوقَفَ الصلاة، وأتى للتو إلى هناك؟ لقد فَعَلَ ذلك، لأنّه لم يكُن يُصلّي ، بل كان حديثاً صارَ لأجل التلاميذ الذين ذهبوا معه إلى البستان. وبهذه الطريقة خلّصهم من الخوف، حتى لا يعترضوا على ما سمعوا منه ـ ﴿هوذا تأتي ساعةٌ، وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصّته وتتركوني وحدي. وأنا لستُ وحدي لأنّ الآب معي. قد كلّمتكم بهذا ليكون لكم فيَّ سلامٌ (يو١٦: ٣٢-٣٣)﴾ ـ بل يذهبو معه إلى البستان.

أيضاً نتساءل كيف ذهَبَ يهوذا هناك؟ من أينَ عَرفَ المكان؟ واضحٌ تماماً أنّ المسيح ـ في مرّات كثيرة ـ كان يقضي اللّيل في هذا المكان. ولم يكن من الممكن أن يأتيَ يهوذا إلى هذا المكان الهادىء، لو كان المسيح يقضي وقته دائماً في البيت. هكذا ذهبَ يهوذا إلى البستان وهو يأمل أن يرى المسيح نائماً. وعندما تسمع كلمة "بستان"، لا تعتقد أنّه اختفى. لذلك فقد أضافَ يوحنا الإنجيليّ قائلاً: «وكان يهوذا مُسلِّمه يعرف الموضع» (يو١٨: ٢). وليسَ مجرّد أنّه يعرفه، بل «لأنّ يسوع اجتمع هناك كثيراً مع تلاميذه» (يو١٨: ٢). فقد كان ينتقل مراتٍ كثيرة مع هؤلاء التلاميذ إلى أماكن خاصّة لكي يتحدّث معهم عن أمور ضروريّة، لا يجب أن يسمعها الآخرون. كان يفعل هذا الأمر على الجبال وفي البساتين. كان يطلب دائماً مكاناً هادئاً بلا ضوضاء حتى يهيىء عقولهم لسماع حديثه.

«فأخذَ يهوذا الجند وخداماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح» (يو١٨: ٣). كثيراً ما أرسلوا إليه أُناساً لكي يقبضوا عليه لكن لم يتمكّنوا. بالتالي ، فمن الواضح آنذاك.، أنّه سلَّم ذاته بإرادته. ولكن، كيف اقنعوا كل هذه العُصبة أن يفعلوا هذا الأمر؟

هذه العُصبة كانت من رجال اعتادوا أن يعملوا جنوداً مقابل أموال. «فخرَجَ يسوع وهو عالمٌ بكل ما يأتي عليه وقال لهم مَنْ تطلبون». هكذا لم ينتظر أن يعرف منهم لماذا أتوا، لكنّه تحدّث إليهم وفعَلَ كلّ شيء دون أي اضطراب، فقد كان يعرف كل ما سيحدث. لكني أتساءل لماذا أتوا بأسلحة لكي يقبضوا عليه؟ ربما من أتباع يسوع ؛ لأجل هذا أتوا ليلاً.

قوة يسوع لا تقهر

«وقالَ لهم مَنْ تطلبون، فأجابوه: يسوع الناصريّ». أرأيت القوّة التي لا تُقهَر، كيفَ أعمَى عيونهم بمجرّد حضوره بينهم؟ لم يكن الظلام هو سبب عماهم؛ لأنّ الإنجيليّ قال إنّه كانت لديهم مصابيح. ولكن، وإن لم تكن لديهم مصابيح، كان يجب أن يعرفوه من صوته. لأنّه وإن كان أولئك لم يعرفوه ، فقد عرَفَهُ يهوذا، الذي كان قريباً منه باستمرار.

إذن، فطالما كان موجوداً معهم (يهوذا)، وسَقَط معهم على الأرض، فإنّ هذا يُبَرّهن على أنّهم ـ ليسَ فقط ـ لم يتمكّنوا من القبض عليه، بل ولا حتى استطاعوا أن ينظروا إليه ـ على الرغم من أنّه (المسيح) كان موجوداً بينهم ـ إن لم يسمح هو نفسه بهذا.

أيضاً يقول: «من تطلبون؟» يا لهُ من جُبن شديد! كلامه أسقطَهم على الأرض وهكذا تراجعوا. ولكن، على الرغم من أنّهم اختبروا قوّته العظيمة جداً ، إلاّ أنّ ذلك لم يمنعهم من الهجوم عليه. وعندما أتمّوا كل ما كانوا قد عزموا أن يفعلوه، عندئذ سلَّمَ نفسه وقال لهم «أنا هو. وكان يهوذا مسلِّمه أيضاً واقفاً معهم».

دعوا هؤلاء يذهبون

لاحظ حكمةالإنجيلي يوحنا واعتداله، كيف أنه لم يشتم الخائن، بل سَرَدَ الحَدَث بهدف أن يُثبت أمراً واحداً فقط، هو أن كل شيء حدَثَ لأنّ يسوع سَمَحَ به. ولئلا يقول أحدٌ إنّ يهوذا هو الذي دلَّهم عليه، لذلك سلّم ذاته. لقد اقتصَرَ عمل يهوذا على أنه قد أظهره لهم، ورغمَ أنّ المسيح تركهم يفعلون كل ما كان مسموحاً به لهم، استمروا

في شَرِّهم دونَ أن يكون لديهم مُبرّر لذلك. عندئذ سَلَّمَ ذاته قائلاً «فإن كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون»، مُظهراً بذلك محبّته لهم حتى آخر ساعة ، وكأنّه يقول: إن كنتم تطلبونني، فليس هناك شيئاً تأخذونه من هؤلاء ؛ لأنّني أنا أُسلِّم نفسي «ليتم القول الذي قاله إنَّ الذين أعطيتني لم أُهلك منهم أحداً». الهلاك هنا ليس موتهم الجسدي فقط، بل والأبدي أيضاً. والإنجيليّ كان حاضراً لهذا الموقف، وعلى تلك اللحظة.

وقد يُدْهَش أحدكم، كيف لم يُقبَض عليهم معه، وكيف لم يُقتَلوا، خاصّة في اللحظة التي فيها بَثَّ بطرس فيهم الجرأة بما فعله مع عبد رئيس الكهنة؟ مَنْ ـ إذن ـ الذي منعهم؟ لا أحد إلاّ تلك القوّة التي طرحتهم على الأرض ؛ الأمر الذي أظهره الإنجيلي بكل وضوح. فلم يمتنع اليهود بإرادتهم عن أن يسبّبوا أذىً للتلاميذ، بل كان الأمر رهناً بقوة المقبوض عليه وقراره، لذلك أضافَ: «ليتم القول الذي قاله إن الذين أعطيتني لم أُهلك منهم أحداً».

شجاعة بطرس وموقف يسوع

لقد نال بطرس جرأة وشجاعةً من أقوال المسيح. وهكذا فإنّ ما حدَث هو أنّه صارَ قويّاً في مواجهة أولئك الذين أتوا ضدّهم. ولكن، كيفَ لـمَن أخذَ وصيّة ألاّ يمتلك كيساً ولا ثوبين، أن يمتلك سكيناً؟

أنا أظن أنّه تجهَّزَ منذ فترة ؛ لأنّه كان يخاف من وقوع هذا الحدَث. لكن إن قُلت: كيفَ لـمَن أخذَ وصيّة ألاّ يلطم، أن يصير قاتلاً؟ أقول : بالتأكيد، لقَد أخذَ وصيّةُ ألاّ يُدافع عن نفسه ، بَيد أنّه لم يَكُن هنا يدافع عن نفسه ، بل عن معلّمه. إضافةً إلى أنّهم لم يكونوا ـ بعد ـ كاملين روحياً.

لكنك ، إذا أردت أن ترى صلابة بطرس، فسوفَ تراه بعد ذلك يتحمّل الأذى بوداعة ، ويُكابد آلاماً لا حَصْرَ لها دون أن يغضَب.

يسوع هنا يصنع المعجزات ، وفي نفس الوقت يُعلِّم أنّه يجب أن نُحسن لمَن يسيئون إلينا، ويُعلن قوّته ، لذلك أرجَعَ أُذن العبد. وأمّا بطرس فقد قال له «لأنّ كلّ الذين يأخذون بالسيف بالسيف يهلكون» (متى٢٦:٥٢). وكما فعَلَ بالضبط عند غسل أرجل التلاميذ، فقد أطفأ شدّة حماسه وغيرته عليه ، هكذا هنا.

وقد أضافَ الإنجيليّ اسم العبد ؛ لأنّ ذلك كان ضرورياً جداً ، ليسَ فقط لأنّه شفَى هذا العبد، بل هذا العبد كان ضدّه ، وقد لطمه، وبذلك أوقَفَ المسيح الغضب الذي كان مشتعلاً ضد التلاميذ من جراء هذه الحادثة. وقد ذكر الإنجيليّ إسم العبد (ملخوس) حتى يُعطي فرصةً للذين لا يعرفون هذه الأمور أن يُناقشوها ويبحثوا إن كانت قد حدثت بالفعل أم لم تحدث . ولم يذكر الأذن اليمنى مُصادفةً ، بل لأنّه أراد أن يُظهر إندفاع الرسول ، أي أنّه هوى بالسيف على رأسه. ولكن يسوع ، لَم يضبط اندفاع بطرس بالإنذار فقط ، بل عزّاه بكلام آخر قائلاً: «الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها» ، وهكذا يظهر ـ مرّةً أخرى ـ أنّ الحَدَث لم يكن نتيجة قوّة أولئك ، بل بسبب أنّه سَمَحَ به ، ولكي يُعلِن أنّه لم تكن له إرادة ضدّ إرادة اللّه ، بل أطاعَ أبيه حتى الموت.

أمام حنان

« ثمّ أنّ الجند والقائد وخدّام اليهود قبضوا على يسوع وأوثقوه ومضوا به إلى حنّان». لماذا إلى "**حنّان**" ؟ لقد وجّهوا الأحداث كما لو كانوا يحتفلون بنصر ، ويقيمون نُصباً تذكارياً للفوز. «لأنّه كان حما قيافا الذي كان رئيساً للكهنة في تلك السنة. وكان قيافا هو الذي أشار على اليهود أنّه خيرٌ أن يموت إنسانٌ واحدٌ عن الشعب».

ولماذا يُذكِّرنا الإنجيليّ بهذه النبوّة؟

لكي يبرهن على أنّ هذه الأمور صارت لأجل الخلاص. ولكي يبرهن أيضاً على أن الحقيقة عظيمة جداً ، حتى أن الأعداء أنفسهم تحدّثوا عنها. ولكي لا يتشكّك أحدٌ ـ عندما يسمع عن القيود ـ أنّ خلاص العالم تمّ بموته.

تواضع يوحنا الحبيب

«وكان سمعان بطرس والتلميذ الآخر يتبعان يسوع». من هو "التلميذ الآخر" ؟ هو الذي كتبَ هذه الأقوال (يوحنا الإنجيليّ). ولماذا لم يُسَمِ نفسه؟ لأنّه عندما ذكر أنّه اتكأ على صدر يسوع ، أخفى اسمه. ولماذا فعل هذا الآن؟ لأجل السبب ذاته. فبما أن الجميع ابتعدوا وهربوا ، أمّا هو فقد تبعَهُ ، فالحديث هنا عن إنجاز عظيم، لذلك أخفَى ذاته. وهو يذكر بطرس أولاً، لكي تعلم أنّه يسرد الأحداث بدقّة شديدة ، إذ كان يُتابع الأحداث من دار الولاية ، أي من الداخل ، ولم يكن لازماً أن يذكر اسمه. ولاحظ أنّه لا يمدح نفسه ، حتى لا يقول أحدٌ ها هو يثني على نفسه. ولكن كيفَ دخل إلى دار الولاية ، وسَبَقَ بطرس في الوقت الذي هرَبَ فيه الجميع؟ يقول: «وكان ذلك التلميذ معروفاً عند رئيس الكهنة». وهو يقول ذلك ، حتى لا ينبهر أحدٌ بسبب إتّباعه للمسيح ، ولا يمدحه لأجل شجاعته . ولكن تجدر الإشارة إلى ما حدثَ لبطرس ، فعلى الرغم من أنّه كان خائفاً ، فإنّه وَصَلَ إلى الدار الخارجيّة ، في الوقت الذي هربَ فيه الآخرون. وقد كان هذا برهاناً على شوقه ومحبّته.

بطرس يتابع الأمام وينكر المسيح

أما فيما يختص بعدم دخوله الدار الداخليّة ، فهذا يرجع إلى الصراع الذي كان يعتمل بداخله. وهكذا أتى الإنجيليّ على ذكر كل هذه الأحداث ، وربطها معاً لكي يهيىء الأمر للحديث عنَ إنكار بطرس. لذا لم يُشر إلى نفسه بأي شيء هام ، سوى فقط ، أنّه كان معروفاً لرئيس الكَهنة، لذا «دَخَلَ مع يسوع». وحتى لا تعتقد أنّه ذو شأن كبير ، أشار إلى السبب (أي سبب دخوله). الأمر الذي كان يُمكن أن يُساعد بطرس على الدخول ، وهذا هو ما أظهره فيما بعد.

فعندما دخَلَ يسوع طَلَبَ يوحنا من البوابة أن تسمح لبطرس بالدخول. وللتو دخل بطرس. أمّا لماذا لم يقم هو بإدخال بطرس للداخل؟ فلأنّه كان ملتصقاً بالمسيح وملازماً له، لذلك طلبَ من البوابة أن تقوده إلى الداخل. فماذا قالت المرأة؟ «ألستَ أنت أيضاً من تلاميذ هذا الإنسان؟». **ماذا قلت يا بطرس ؟**

ألم تقُل من قَبل أنني سوف «أضَع نفسي عنك» ؟(يو١٣:٢٧).

إذن ماذا حدث، حتى أنّك لم تستطع أن تحتمل سؤال البوابة؟ فقد يكون مقبولاً أنّك لا تحتمل السؤال لو كان مَن سألَكَ جنديا؟ أو كان واحداً من الذين قبضوا على يسوع ؟

ولكن التي سألتك كانت مجرّد بوابة ، في أدنى الدرجات الوظيفيّة. ولم يكن "سؤالها وقحاً " لأنّها لم تقُل إنّك تلميذ هذا المضلّل والمدمّر ، بل «تلميذ هذا الإنسان» ، الأمر الذي يعني أنّها إمرأة ممتلئة

عطفاً وحُزناً عليه. لكن بطرس لم يحتمل شيئاً من مثل هذا. «ألستَ أنتَ؟»، اقالت هذا لأنّ يوحنا كان داخل دار الولاية. لقد تحدّثت المرأة مع بطرس بتحفظ شديد. لكنّه لم يُدرك شيئاً من هذا كلّه ، ولا خَطَرَ على باله. ولا حتّى عندما أنكَرَ في المَرّة الأولى. ولا أيضاً في المرّة الثانية. ولا في المرّة الثالثة. ولا حتى صياح الديك جعله يتذكّر ، إلى أن حانت اللحظة التي فيها نَظَرَ إليه يسوع بنظرة مملوءة بالحزن، بينما كان واقفاً هناك يستدفىء مع عبيد رئيس الكهَنة ، وكان المسيح مقيّداً بالداخل.

رئيس الكهنة يستجوب المسيح

هذا نقوله ، ليسَ لكي ندين بطرس، بل لكي نُظهر حقيقة الأقوال التي قالها المسيح: «فسأل رئيس الكهنة يسوع عَن تلاميذه وعن تعاليمه».

يا له من خُبث فظيع !

فبالرغم من أنّه كان يسمع أن يسوع يتحدّث دائماً في الهيكل ويُعلِّم بجرأة. يريد الآن أن يعلم !!

لقد سألوه عن تلاميذه ؛ لأنّهم لم يكن لديهم أي إتهام ضدّ المسيح، ولذلك سألوه أين هم الآن؟ وبأي هدف تجتمع بهم؟ وما الذي تُريد فعله؟ هذه هي الأسئلة التي وجّهها رئيس الكهنة للمسيح ، كأنّه أراد أن يختبره ويحقّق معه كمتمرد ومبتدع. وكما لو لم يكن هناك من رآه وهو يزاول نشاطه هذا. وكأنّ تلاميذه كانوا يشكّلون عصابةً شرّيرةً.

ماذا أجابَ المسيح؟ رَدَّ يسوع على هذا السؤال، وقال: «أنا كلَّمتُ العالم علانيّة» ليس لفئة خاصّة من التلاميذ. «أنا علَّمتُ كل حين في المجمع وفي الهيكل» (يو١٨: ٢٠). ماذا إذن، هو لم يقل شيئاً في الخفاء ، لقد قال هذه الأقوال دون أدنى خوف ، وليس كما كان هؤلاء يظنّون. فأقواله كانت أعلى من قدرات سامعيه الفكريّة. كأنه يقول: لماذا تسألني أنا؟ سَل الذين سمعوا هذه الأقوال، فهي لا تتضمّن أيّة إساءة.

لكن الردّ الذي كان مُقنعاً حقّاً ، هو ما قاله منذ البداية: «إن كنتُ أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقّاً» (يو٥: ٣١). وكأنّه بهذا يقول: أريد أن أُقَدِّم شهادة صادقةً. ولأنّ رئيس الكهنة سأله عن تلاميذه. وقال بردّه هذا ـ كما هو واضح من الإجابة «أتسألني عن خاصتي»؟ إسأل الأعداء المتآمرين. أولئك الذين قيّدوني، فليقولوا. وشهادة الأعداء للحقّ هي برهان غير قابل للشكّ. فماذا قالَ رئيس الكهنة؟ لم يفعل شيئاً، في حين كان عليه أن يتجه نحو الذين سمعوه ليستعلم منهم.

المسيح يلطم

« ولمّا قالَ هذا لطَمَ يسوع واحدٌ من الخدّام كان واقفاً» (يو١٨: ٢٢). وأنا أتساءل **هل هناك أوقَح من هذا الذي حدَث ؟** ارتعدي أيتها السماء. واهربي أيتها الأرض من مكانك بسبب طول أناة الرب وجحود العبيد. ماذا قال؟ لم يتجنّب الردّ حين قال «لماذا تسألني» ولكنه تكلّم أيضاً هذه المرّة ، بهدف أن يكشف عن كل ما في داخلهم من دوافع للجحود. وقَبلَ اللطمَ بينما كان في استطاعته أن يبيد من أمامه كلّ شيء ويُمحوه. ولكنّه لم يفعل أي شيء من هذا بل قالَ كلاماً يُمكن أن يوقف أي وحشيّة: «إن كنتُ قد تكلّمت رديّاً فاشهد على الرديء» ، أيَ إن كانَ لديك إدانةً على كلامي أظهرها لي. «وإن حسناً فلماذا تضربني؟» (يو١٨: ٢٣). **أرأيت هذه المحكمة المليئة بالفوضى والإضطراب والغضب وخلط الأمور بعضها ببعض؟** وفي الوقت الذي سأله رئيس الكهنة في خسَة ،جُبن ، أجابَ المسيح باستقامة ولياقة. ما الذي كان على رئيس الكَهنةً أن يفعله؟ إمَّا أن يواجهه بما لديه من اعتراضات، أو أن يقبل ما قاله. لكن شيئاً من هذا لم يحدث، بل لطمه العبد. **يتضح لنا من ذلك أن ما جرى لم يكن محاكمة ، بل مؤامرة واستبداد.**

يسوع يساق إلى قيافا

ولكن ، ولأنّهم لم يجدوا فيه شيئاً يدينه، « أرسلَه موثقاً إلى قيافا رئيس الكهنة» (يو١٨: ٢٤). «وسمعان بطرس يصطلي» (يو١٨: ٢٥). يا حسرتاه! كم أصابه الدفء بالخمول في ذات اللحظة التي يُساق فيها يسوع إلى قيافا؟ وبالرغم من كل ما حدث لم يتحرّك ، بل ظَلَّ واقفاً يصطلي، وهو ما يُظهر مدى الضعف الذي يُصيب الطبيعة البشريّة بدون (نعمة) اللّه. وعَندما سُئلَ أيضاً، أنكَرَ. «ثمّ قال واحدٌ من عبيد رئيس الكهنة وهو نسيب الذيَ قطع بطرس أذنه». وكان بطرس مضطرباً مما يحدث. قالَ له العبد «أما رأيتك أنا معه في البستان؟» (يو١٨: ٢٦). وحتى البستان لم يجعله يتذكّر، ولا الحبّ الشديد الذي عَبَّرَ عنه هناك بأقواله. كان قد نسَى كلّ شيء بسبب صراعه الداخليّ.

لماذا كتب الإنجيليّون عن بطرس أقوالاً متّفقة عن إنكاره؟ ليس لكي يدينوا بطرس التلميذ، بل أرادوا أن يعلّمونا كيف يصل الشرّ إلى مداه حتى أنّه يجعلنا لا نثق باللّه. ولا تكون لنا ثقة في أنفسنا. ثمّ لعلك تتعجّب من محبّة المعلِّم لأنّه على الرغم من أنّه كان مقبوضاً عليه ومُقيّداً، إلاّ أنّه أظهَرَ عنايةً فائقةً بتلميذه. لقد فعل هذا بنظراته. وهذه النظرات جعلت بطرس يخرج ويبكي بكاءً مرّاً.

المثول أمام قيافا ثم بيلاطس

«ثمَّ جاءوا بيسوع من عند قيافا إلى دار الولاية» (يو١٨: ٢٨). كان الغرض من هذا أن يبدو هؤلاء القضاة قد فحصوا وحقّقوا بكل يقظة. «**وكان صبح**». قبل أن يصيح الديك اقتادوه إلى قيافا. وفي الصباح جاءوا به إلى بيلاطس. بهذا أظهَرَ الإنجيلي أن قيافا كان يستجوبه منذ منتصف الليل ، ولكنّه لم يجد يسوع مذنباً. لأجل هذا أرسله إلى بيلاطس. وقد ترك الأنجيلي تفاصيل تلك الفترة ؛ لأنّ الإنجيليين الآخريين تكلّموا عنها. لذا فهو يسجّل كل ما حدث بعد ذلك.

ديانة اليهود الشكليه

لاحظ اليهود الجديرين بالإستهزاء، لقد قبضوا على البّار حاملين معهم أسلحتهم، ولكنّهم لم يدخلوا إلى دار الولاية «لكي لا يتنجسّوا» . أخبرني إذن: مَن هو النجس؟ أليسَ هو الذي يحكم على البريء ظُلماً ليحاكم من الظالمين؟! إن هؤلاء الظالمين الذين يعشّرون النعناع والشبث في الوقت الذي يمتنعون فيه عن الدخول إلى دار الولاية لئلا يتنجسّوا ، **لم يشعروا بأنّهم قد تنجسّوافعلاً عندما حكموا عليه بالقتل ظلماً**. ولماذا لم يقتلوه، بل اقتادوه إلى بيلاطس؟ من المؤكّد أنّه لم يكن من سلطتهم القيام بالأمر الأهم (وهو الحكم على أحد بالقتل)، فقد كانت أمورهم تحت سلطان الرومان. ومن ناحية أخرى، ربما خافوا من أن يُعاقَبوا بعد ذلك بسبب إدانتهم له.

ماذا يعني «فيأكلون الفصح؟» (يتم الإحتفال بالعيد من أوّل يوم للفطير). عندما يقول " فصح أو بصخة " فإنّه يقصد العيد ككل. أي من الوقت الذي كانوا يعيّدون فيه بالبصخة. وقد سُلِّمَ المسيح قبل اليوم الأوّل للفطير. كان تحت الحفظ ليوم الإستعداد، الذي فيه كانوا يعيّدون البصخة قديماً. لقد جاء هؤلاء حاملين أسلحةً، وهو الأمر الذي لم يَكُن مسموحاً به. وأخذَ سافكوا الدماء يفحصون دار الحاكم (ما إذا كان سينجسّهم أم لا) ويجبرون بيلاطس أن يخرج إليهم.

بيلاطس يتفحص الأمر

وعندما خرج، قال «أيّة شكاية تقدّمون على هذا الإنسان؟» (آية٢٩). هل رأيت هذا المتحرّر من محبّة الفضّة والحسد؟ فعندما رآه مُقَيّداً وسط حشد كبير ، لم يتطرّق إليه شكّ في أنّهم يملكون دليلَ إدانة غير مشكوك فيه. ولكن الطريقة العشوائيّة التي حكموا بها عليه ، ورغبتهم في تنفيذ الحكم عليه دون محاكمة قانونيّة ، أثارت في نفسه العجب! **فماذا قالوا**:

«لو لم يكن فاعل شرّ لما كُنّا قد سلّمناه إليك» (يو ١٨: ٣٠).

يا للغباء الشديد! لماذا لم تفحصوا عمّا أتاه من شرٍّ ، بل تخفوه؟ **لماذا لم تُظهروا هذا الشرّ ؟**

هل رأيت كيف أنّهم دائماً ما يهربون من توجيه إتهام مباشر ، وهم لا يستطيعون أن يقولوا شيئاً؟

لقد سأله حنان عن تعليمه، وعندما سمعَه أرسله إلى قيافا. وقيافا سأله أيضاً ولم يجد فيه أيَّة علّة ، فأرسلهَ إلى بيلاطس. وهما أيضاً ليس لديهم ما يقولونه عليه ، سِوَى بعض الإدعادات. ولذلك لم يعرف (بيلاطس) ماذا يفعل. وقال: «خذوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم. فقال له اليهود لا يجوز لنا أن نقتل أحداً». ليتم قول يسوع الذي قاله «مُشيراً إلى أية ميتة كان مزمعاً أن يموت» (عدد٣١،٣٢).

فماذا كانوا يقصدون من قولهم: «لا يجوز لنا أن نقتل أحداً»؟ لا شكّ أن الإنجيلي كان يقصد أنه لا يمكن أن يموت عنهم وحدهم فقط بل لأجل الأمم أيضاً. أما هم فكانوا يقصدون أنه لا يجوز لهم أن يُنفّذوا حُكم القتل بالصليب. فعندما قالوا: «لا يجوز لنا أن نقتل أحداً» كانوا يقصدون أنهم يرفضون أن يتمّ القتل بالوسيلة التي كانت مستخدمة في هذا العصر تحديداً ، أي الموت بالصليب. لأنّهم كانوا يقتلون بطرق أخرى، كما يظهر من حادثة رجم اسطفانوس.

الموت صلبا لملك اليهود

ولكن اليهود كانوا يُريدون أن يموت المسيحُ مصلوباً لكي يُهينوه بطريقة موته. وإذ أراد بيلاطس أن يتخلّص سريعاً من هذا الإزعاج ، قَصَدَ أن لا تكون المحاكمة طويلة، بل سأل يسوع قائلاً: «أنْتَ ملك اليهود. أجابه يسوع أمن ذاتك تقول هذا ، أم آخرون قالوا لك عنّي»

فلماذا سأله المسيحَ هذا السؤال؟ لقد أراد المسيح أن يُظهر نيّة اليهود الشريرة. ولا شكّ أن بيلاطس قد سَمِعَ هذا من كثيرينَ ؛ لأنّ أولئك اليهود لم يقولوا شيئاً عليه. ولكن، حتّى لا يستغرق التحقيق وقتاً طويلاً ، أراد أن يعرضه عليهم، فقال لهم: «خُذوه واحكموا عليه حسب ناموسكم». ولكن، ونظراً لأنّهم لم يريدوا أن يُظهروا أنّ العلةَ دينيّة، قالوا: «**لا يجوز لنا**». كأنّهم يقولون: إنّه لم يخطىء وفق ناموسنا، فالجريمة مدنيّة وليست دينيّة. وعندما أدرَك بيلاطس هذا الأمر، وعرف أنّه سوفَ يتعرّض للخطر ، قال له: «**أنتَ ملك اليهود**»؟ بالطبع لم يسأل - بيلاطس - المسيح عن جهل ، بل أراد عن طريقٍ ذلك السؤال أن يترك الفرصة لليهود ليوجّهوا تهمةً ضدّه.

فلما رأى بيلاطس أنّه لا ينفع شيئاً، بل بالحريّ يحدث شغب، أخذ ماءً وغسل يديه قدّام الجميع قائلاً : إنّي بريء من دم هذا البار.

عندما قال المسيح لبيلاطس «آخرون قالوا لك عني ؟» ، أراد بيلاطس أن يتحقّق من هذا الأمر ، فقال: «ألعلّي أنا يهودي. أُمتك ورؤساء الكهنة أسلموك إليَّ. ماذا فعلت؟» (عدد ٣٥).

وإذ أراد بيلاطس أن يُخَلِّص نفسه ، قال «أأنتَ ملك اليهود»؟

وردَّ يسوع عليه بنفس الردّ ، إذ قال له، لقد سمعت ذلك بالتأكيد من اليهود ، فلماذا لا تتحقّق من الأمر بالتفصيل؟ لقد قالوا إنّي شرّير ، اسألهم ما الشرّ الذي فعلته؟ ولكنك لم تفعل ذلك ، ولم توجّه لي أي اتهام.

مملكتي ليست من هذا العالم

لقدسَمِعَ طبعاً عن المسيح من آخرين ، لكنّه لم يستطع الإجابة مباشرةً ، بَل غَيَّرَ مجرى الكلام مُشيراً إلى الجمع قائلاً لقد «أسلموك إليَّ» ، ويجب أن أسألك ماذا فعلت؟ أما المسيح فقال له: «مملكتي ليست من هذا العالم» (عدد ٣٦).

لقد رَفَعَ المسيحُ نظر بيلاطس إلى أمور سامية جداً، لأنّه لم يكن خبيثاً مثل أولئك اليهود ، ولذلك أراد الربّ أن يُظهر له أنّه ليسَ إنساناً عادياً ، بل هو اللّه ، وابن اللّه. فماذا قال أيضاً؟ «لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خُدّامي يجاهدون لكي لا أُسلّم إلى اليهود» (عدد ٣٦). الأمر الذي خفّف مخاوف بيلاطس. فالموضوع لا يندرج تحت الشروع في تكوين سلطة طاغية.

ولكن، أليست مملكته من هذا العالم؟ هي كذلك بالتأكيد.

فكيف يقول " أنها ليست كذلك»؟

والحقيقة هي أنّ سيادة مملكته ليست مثل سيادة المملكة البشريّة هنا ، بل أن السيادة والسلطة الكاملة ستكون في السماء. فهذه المملكة ليست بشريّة ، بل أسمى جداً من المملكة الأرضيّة، وأكثر بهاءً منها. لكن إذا كانت مملكتك أعظم ، فكيف يُقبَض عليك من قبَل المملكة الأرضية؟ قد حدث هذا لأنّه بإرادته سُلِّمَ إلى هؤلاء ، رغمَ أن هذا لم يظهر منذ البداية.

المسيح يعلن ضعف المملكة الأرضية

فماذا قال إذاً؟ «لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خُدّامي يجاهدون لكي لا أُسلّم إلى اليهود» ، بهذه الكلمات يُظهر ضعف المملكة الأرضيّة التي تضع قوّتها في الخدام. بينما السمائيّة كافية في ذاتها ، لا تحتاج إلى أحد.

وإن كان أعداء الإيمان (الهراطقة) قد أخذوا من أقواله حجّة على ما ظنّوه تناقضاً في أقوال الخالق، فقالوا فعلاً: ماذا يعني بقوله «جاء إلى خاصته» (يو١ :١١)، في الوقت الذي يقول «ليسوا من العالم كما

أني لستُ من العالم» (يو١٧: ١٤)؟ هكذا بنفس الطريقة يقول هنا عن مملكته أنها ليست من هذا العالم. لقد قال هذا، لا لكي يحرم العالم من عنايته ورعايته ، بل ليبرهن ـ كما ذكرت ـ على أن مملكته ليست بشريّة ، ولا هي فاسدة.

لهذا ولدت لأشهد للحق

قالَ بيلاطس: «أفأنت إذاً ملك. أجاب يسوع أنت تقول أني ملك. لهذا قد وُلدت أنا» (عدد ٣٧). فإن كان قد وُلدَ ملكاً ، فهذا بالتأكيد بالنسبة لكل ما يتمتع به بسبب أنّه وُلدَ ملكاً ، ولم يكتسب شيئاً من الخارج. وبالتالي عندما تسمع «كما أنّ الآب له حياة في ذاته كذلك أعطى الإبن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته»، لا تفكّر في شيء سوى في هذه الولادة . ولك أن تتأمّل في ذلك أيضاً من خلال قوله: «ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحقّ»، أي لكي أقول وأُعلّم هذا (الحقّ). وأُقنع الجميع لكي يؤمنوا.

تمثلوا بالمسيح

أيها الإنسان، ضَع في اعتبارك هذه الأمور، وأنت تُشاهد ربّك مُقيّداً ومُقتاداً هنا وهناك. انتبه إلى أنّ أمور هذه الحياة الحاضرة لا تساوي شيئاً. لأنّه من الغريب أن يحتمل هو أشياءً كثيرةً لأجلك بينما أنت في ـ مرّات كثيرة ـ لا تحتمل سماع أقوال الكتاب ؟

وبينما بُصقَ عليه ، تهتم أنتَ بتزيين ملابسك. وتشعر أن حياتك لا تُطاق إن لم تَنَل استحسان الجميع. وفي حين شُتمَ وأُهين وَضُربَ وَصُفعَ على وجهه وهم يضحكون عليه، تطلب أنت التكريم والإحترام والتقدير ، ولا تحتمل إهانةً من أجل المسيح . ألم تستمع إلى قول بولس «تمثّلوا بي كما أنا بالمسيح».

إذن ، عندما يستهزىء بك أحدٌ ، تذكّر سيّدك. لقد سجدوا له باستهزاء. وأهانوه بالكلام والأفعال وسخروا منه في معاملتهم له ، ولم يُدافع عن نفسه. وليس هذا فحسب ، بل اتخذ موقفاً مختلفاً ، فدافع عن نفسه بالوداعة والرحمة. ليتنا نتمثّل به ؛ لأنّه هكذا نستطيع أن نتحرّر من كلّ تأثير إهانة. فمن يُصاب بالأذى والضرر ، ليس هو الذي يُشتَم، بل مَن هو عديم الأناة ، والذي يتضايق من الشتائم. هم يعانون الشرور ، وهم الذين يسبّبون الشرور ، فلماذا يستولي عليك الحزن؟

إن شُتمتَ ظُلماً فلا تغضب ممن ظَلَمَك ، بل تراءف عليه وارحمه. وإن شُتمتَ بسبب خطأ حدث منك ، فبالأحرى جداً ، يجب أن تبقى هادئاً. وإن مدحك أحدٌ على أنّك غني ، بينما أنت في الحقيقة فقير ، فإنَّ عبارات الثناء هنا لا تفيدك بشيء ، بل بالحري لا تكون عبارات الثناء هذه ، إلاّ استهزاءً (بك). وعلى نفس القياس ، إن شتمك أحدٌ بسبب أشياء غير صحيحة، فسخريته لا علاقة لها بك.

أمَّا إذا ضايقك ضميرك لأجل كلمات السُباب التي وُجِّهت إليك، فلا تستلم للحزن ، بل عليك أن تُصلح أعمالك. وإن شُتمت لأجل فقرك ، أو انتمائك إلى طبقة متواضعة ، فهذا أيضاً يستحق الضحك، طالما لا تمثّل هذه الشتائم إهانةً لمن يسمعها ، بل بالحري لمن ينطق بها ؛ لأنه لا يتصف بالحكمة.

أمَّا عندما تصدر هذه الشتائم ممن لا يعرفون الحقّ ، يكون الجرح عندئذ غير محتمل. ولكن يمكنك أن تحتمله إذا كان هناك شهود عيان يمتدحونك. أمّا المسيح فقد استهزءوا به وسخروا منه ، ولم يدافع عن نفسه ، بل لم يقل شيئاً. ولذلك ، فهو جدير بالتمجيد أكثر من الذين يفكرون بطريقة عقليّة محضة. ولذلك ، إن تخطَّى أحدكم طريقة التفكير هذه ، فسيفرح به المسيح، وينال فرحاً سماوياً؛ لأن الكل هناك سوف يمتدحونه ، والجميع سيصفقون له ويطوبونه. بل يكفيه أن يرى ذلك من ملاك واحد عوضاً عن المسكونة جمعاء. ولماذا أقول الملائكة ، فاللّه نفسه سيشهد له.

ليتنا نطبّق هذه الأفكار على ذواتنا ؛ لأن الخطأ ليس في أن يصمت أحد وهو يُشتَم ، بل على النقيض ، فإنّ الدفاع عن النفس هو الخطأ. إذ لو كان الصمت خطأ، لَمَا قال المسيح: «مَن لطمك على خدّك الأيمن فحوّل له الآخر» (متى ٥: ٣٩).

إذن ، فإن ادعى عليك أحدٌ بأمور ليست حقيقيّة، فارحمه وتراءف عليه لأنّه يجلب على نفسه الجحيم والعقاب ، ولا يكون هذا الشخص مستحقّاً حتى لقراءة الكتب المقدسة «وللشرير قال اللّه مالك تُحدث بفرائضي وتحمل عهدي على فمك. تجلس تتكلّم على أخيك. لإبن أمك تصنع معثرة» (مز ٥٠: ٢٠ـ ١٦). فالذي يقول أشياء ليست حقيقيّة يكون إنساناً بائساً وشقياً. فالفريسي قال أشياء ليست حقيقيّة. لكن عندما سمع العشّار ما قاله الفريسي عنه، لم يُصَب بأذى ، بل عاد عليه ذلك بالفائدة ، بينما حُرمَ الفريسي من خيرات لا تُحصى ، وعانى الموتَ من هذه الإدانة. هكذا في الحالتين: فإنَّ مَن يُدان ليس أنتَ ، بل الذي يشتمك.

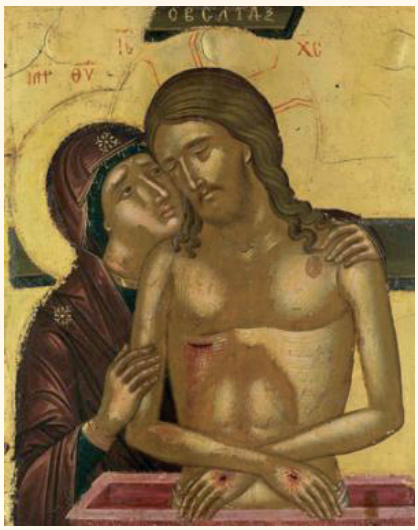

أمَّا أنت ، فإذا تيقظت ، فإنك سوفَ تأخذ ربحاً مزدوجاً: تربح اعتدالاً ورزانةً ، وفي نفس الوقت تعتبر ما يقال ضدّك ، دافعاً تُصلح به من نفسك ، وتحتقر المجد البشري. لأنّ اهتمامك بما يُقال عنكَ من النّاس ، قد يسبب لك الحزن ، ولكن لو تصرفنا بحكمة ، فسوف نكتشف أن تلك الأمور البشريّة لا قيمة لها على الإطلاق.

تعالوا ـ إذن ـ نتعلّم مما ذكرنا ، متفكرين في أخطائنا ، لكي نَصف زماننا في تصحيح أخطائنا وتقويم أنفسنا. تعالوا نقول لأنفسنا: سوفَ أُصلح هذا الخطأ أثناء هذا الشهر. وفي الشهر التالي الخطأ الآخر. وفي الشهر الثالث أَنْظُر لخطأ ثالث أُصلحه وأُجري عمليّة الإصلاح هذه. وهكذا ، كأنّنا نصعد ونرتفع تدريجيّاً لكي نصل إلى السماء بواسطة سُلّم يعقوب. فأنا أعتقد أنّ هذا السُلّم الذي رآه في الحُلم يُشير إلى الصعود التدريجي بواسطة الفضيلة التي ترفعنا من الأرض إلى السماء ، مستخدمين ، ليسَ درجات محسوسة ماديّة بل الفضيلة التي بها نُصلح أنفسنا.

ليتنا ننشغل بهذه الرحلة ، وهذا الصعود لكي ننجح في الوصول إلى السماء ونستمتع بكل الخيرات بنعمة ومحبّة ربنا يسوع المسيح للبشر، الذي له المجد من الآن وإلى أبد الآبدين أمين. ■

طريق النساك الدخول إلى العمق

إن البدايات الخارجية، تقودنا الآن إلى المعركة التي تدور رحاها في الأعماق. مثلما يحدث حينما يقوم الواحد منا بتقشير بصلة ، فإنه ينزع طبقة بعد طبقة ، إلى أن ينكشف القلب الداخلي العميق الذي منه يحدث النمو حتى يصل إلى النور. هكذا، فإنك هناك في مخدع نفسك العميق جدًا، ستلمح المخدع السماوي، لأنهما واحد بل هما الشيء نفسه، كما يقول مار اسحق السرياني. والآن حينما تجاهد لتدخل إلى أعماق أعماقك، فإنك سترى – إلى جوار وجهك الحقيقي– ما يسمّيه القديس حزقيوس الأورشليمي، بالوجوه الكئيبة السوداء للفكر، ولكن القديس مقاريوس المصري يشبّه هذه الوجوه السوداء بحيّة زاحفة قد صنعت لها عشًا هناك وجرحت المركز الحيوي الأساسي لنفسك. فإن كنت الآن قد ذبحت هذه الحية – هكذا يقول القديس – فإنك تصير نقيًا أمام اللّه. ولكن إن لم تكن قد ذبحتها، فانحني باتضاع – كخاطئ محتاج، وصلي إلى اللّه طالبًا أن يحررك من كل حركات الحية المختبئة في داخلك.

فكيف يمكننا أن نبدأ، إذن، نحن الذين لم يسبق لنا بالمرة، الدخول إلى القلب؟ إننا واقفون في الخارج، ولكن فلنقرع **بالصوم والصلاة** ، حسب أمر الرب حينما يقول "اقرعوا يُفتح لكم" (مت ٧:٧). فإن تقرع هذا معناه أنك تفعل. فإذا تمسكنا بكلمة الرب، في الفقر، وفي الاتضاع، وفي كل التعليمات التي يوصينا بها الإنجيل، وواظبنا ليلاً ونهارًا على قرع باب اللّه الروحي، فعندئذ نستطيع أن نحصل على ما نطلبه.

فكل من يهرب من الظلمة والعبودية، يمكنه أن يسير إلى الحرية من خلال ذلك الباب، وينال هناك، هبة الحريّة الروحية وإمكانية حلول المسيح الملك السمائي، كما يقول القديس مقاريوس.

العهد القديم في الكتاب المقدّس (١٥)

تتمة من العدد السابق

حياة الآباء وخواص تلك الفترة

الحياة الدينيّة

عاشَ إبراهيم واسحق ويعقوب حياة البدو الرحّل ، فلم يؤسّسوا مُدُناً مثل نمرود وآشور (تك١٠:٩-١١)، لكنّهم كانوا يؤسّسون القاعدة للشعب ويرسّخون عقيدة ، عاشوا بالإيمان ينتقلون من مكان لآخر حسب قصد اللّه وإرشاده وهم يحملون وديعة الإيمان ويورثونه لأبنائهم. وكان رئيس القبيلة هو حاكم الأسرة والمُدافع عنها ، فتراه زعيماً حربيّاً كإبراهيم ، كما كان رئيس القبيلة يمارس أعماله كاهناً للعشيرة نبيّاً بين قبيلته واللّه ، فيبني المذابح ويرفع القرابين حافظاً لعشيرته إيمانها بالإله الواحد في عبادة نقيّة لا تتسرّب إليها عبادة آلهة من خيال البشر أو عبادة الطبيعة تلك التي كانت تحيط بالشعب من كلّ ناحيّة ، وفي عصر الآباء لم تكن هناك معابد أو رسوم من أعياد أو شريعة فلم تكن قد أعطيت الشريعة للشعب بعد ، ولذلك كانت المذابح بدائيّة وتذكارات شخصيّة لحوادث مقدّسة ، وكانت تمارس الصلوات دون إلتزام بشعائر محدّدة إلاّ من بَعض النذور والعشور ، وكان عهد الآباء هو بدء إفرازهم عن الشعوب الأخرى ، لذلك كان بدء عهد الختان كعلامة ليكونوا خاصّة اللّه.

الحياة الإجتماعيّة

بالرغم من أنّ الآباء كانوا يعيشون حياة البدو ويحترفون الرعي ويزرعون الأرض لموسم أو إثنين ، إلا أنّه كانت لهم إتصالات مع أرقى حضارات ذلك العصر تلك التي إزدهرت في مصر والفرات ، وكنعان التي عاش فيها الآباء بموقعها المتوسط بين هاتين الحضارتين صارت لها هي الأخرى حضارة خاصّة بها مستمدّة منهما وخاصّة أن تبادل سيادة هاتين الإمبراطوريتين عليها أكسبها تلك الحضارة ، كما أثبتت الدراسات الحديثة للآثار أنّه كانت هناك حضارة متقدّمة مجاورة لكنعان في سوريا ، وهي ما اكتشف حديثاً عن حضارة كانت قديماً على ساحل سوريا الشمالي حيثُ ظهرت مدينة أوغاريت القديمة (رأس شمرا) ، وعلى أغلب الظن أن الآباء عرفوا أيضاً شيئاً عن الكتابة لأنّها ازدهرت عند جيرانهم في ذلك العصر ، كما أنّنا لا نغفل أيضاً تأثير الكنعانيين وهم سكان الأرض الأصليّون ، فقد كانت لهم حضارة متميّزة.

الحياة العائليّة

عاشَ الآباء في جو هذا الإنفتاح الحضاري من حولهم ، وكانوا يمتلكون النقود فإبراهيم يقايض أرض المكفيلة بوزنات من الفضّة ، ويعقوب يشتري أرضاً في شكيم ، وكانوا أيضاً يمتلكون الحلى والجواهر ، فقد أمهر إسحق زوجته بيد اليعازر خزامة ذهب وزنها نصف شاقل ، وسوارين وزنهما عشرة شواقل ذهب ، وكان بيده هديّة تحفاً من أوان ذهب وفضّة مع ثياب ، ويعقوب يدفن أقراط وأساور من الذهب في شكيم ، وذكر عن يهوذا أنه كان له خاتم ، وصنع يعقوب ليوسف قميصاً ملوّناً كالأمراء.

يتبع

عجائب القديس يوحنا الروسي

وُلدَ القديس يوحنا الروسيّ في روسيا سنة ١٦٩٠ . أسرَ في الحرب الروسيّة التركيّة سنة١٧١١ ؛ بيعَ كعبد لرئيس الفرسان في بلدة بروكوبيو ، نال من الإضطهاد والعذابات والضرب ألواناً. حافَظَ على إيمانه الأرثوذكسي. إنتقل وله من العمر ٤٠ عاماً. بقي جسده بدون فساد. نُقِلَ إلى بروكوبي في إيڤيا باليونان. وهو مسجّى في الكنيسة التي تحمل اسمه.

القديس يوحنا الروسي

بالطائرة الأولى

الأب يوحنا فرنيزوس، خادم كنيسة القديس في بروكوبي – إيڤيا يحدّثنا بما يلي: في مستشفى كبير في نيويورك كان كلّ شيئاً حاضراً لدخول السيد جورج سكوراس، وهو يوناني أميركي الجنسية، إلى غرفة العمليات لاستئصال ورم خبيث كبير الحجم كالتفاحة من رئته. لكنّ زوجته أثناسيا طلبت من الأطباء تأجيل العملية فوافقوا على التأجيل ليومين.

ماذا الذي جرى؟ في اللحظة الأخيرة شعرت السيدة سكوراس في قلبها بالرغبة لأن تعطي زوجها، قبل أن يخضع للعملية، بعضَ نقاط من الماء المقدس وأن تمسحه بقليل من الزيت المقدس من القنديل المضاء بغير انقطاع أمام رفات القديس يوحنا الروسيّ. فاتّصلت هاتفياً بالكنيسة في بروكوبي في جزيرة آڤيا في اليونان، ورجتنا أن نرسل هذه البركة البسيطة بواسطة سيارة أجرة إلى المطار لكي تُرْسَل في أول طائرة إلى نيويورك. وهذا حصل.

وفي المطار الكبير لم تكن السيدة اثناسيا تنتظر زجاجتي الماء المقدس والزيت المقدس الصغيرتين وحسب، بل كانت أيضاً تنتظر **القديس يوحنا الروسيّ نفسه**. لم تستطع أن تحبس دموعها عندما أمسكت بالرزمة الصغيرة في يديها. إنها تريد أن تحصل على «الشفاء الأسمى والأكثر لياقة بالله». وأسرعت إلى المستشفى كأنها على أجنحة. وامتلأت عينا زوجها بالدموع عندما كان يراقبها بمحبة ترسم علامة الصليب بالزيت المقدس على جبينه وتباركه بالماء المقدس. ثم ذهبت السيدة سكوراس مباشرة إلى مدير المستشفى طالبة منه أن يرتب لإعادة فحص زوجها. وقد كانت مصرّة حتى أن المدير أمر بأن يُعاد فحص أشعة بسيط.

والعجيبة التي كانت تنتظرها والتي آمنت بأنها ستحصل كانت قد حصلت فعلاً. لم يجد الأطباء أيّ ورم في صورة الأشعة. وفي دهشتهم، أعلن الأخصائيون هذه الحالة:

«شفاء مثير للاهتمام علمياً».«إنه شفاء مثير للاهتمام العلمي بشفاعة القديس يوحنا الروسي»، كانت تردد الزوجة المؤمنة السيدة سكوراس وهي ممتلئة فرحاً لمشاهدتها زوجها عائداً إلى عائلته وعمله من جديد وكانت نهاراً وليلاً تمجد اللّه وقديسه «يوحنا الروسي».

ألفريد والحية السامة

في وسط البرد القارص وَجَدَ ألفريد حيّة تلتف حول نفسها لعلّها تشعر بشيء من الدفء، وقد بدا عليها علامات التعب الشديد. سألها ألفريد: مالك تئنين ؟!

ـ من البرد القارص ليس لي مكان استدفىء فيه.

ـ مشتاق أن أخدُمَك ، لكنّي أخشى من سُمّك.

ـ كيف أبثّ السم فيمن يحفظ حياتي ويخلّصها ؟! إحملني في مكان فيه دفء.

ـ سمعت أنّ الحيّات خبيثة ، ليس لها صديق.

ـ هذه اتهامات باطلة ، لتجرّب ، وترى بنفسك ، إنّني سأردّ لك خدمتك بالحبّ.

ترفّق ألفريد بالحيّة السامّة ، وحملها بين يديه واحتضنها وذهب بها إلى بيته. إذ رأته

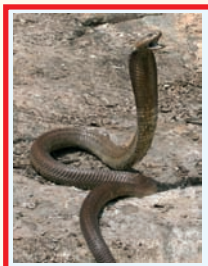

والدته صرخت:

«ألقها سريعاً خارج البيت». لكن ألفريد أصرّ أن يدخل بها إلى حجرته.

شعرت الحيّة السامّة بالدفء وانتشت لتبث سمّها في جسم ألفريد.

صَرَخَ ألفريد : «أين هو وعدَك لي؟»

أجابت الحيّة : «أينَ هو عقلكَ وحكمتك ، أما تعرفني؟».

إنقضّت الحيّة عليه وثبت سمها فيه.

هب لي مع الحبّ حكمة.

عرّفني ألا أُظْهِر حُنوّاً في غير حينه.

إحفظني من خداع الحيّة القديمة ، فلا أدخل بها إلى قلبي ،

ولا أعطيها فرصة لتبثّ سمومها فيّ !

الدكتور والمُلحِد

سَخَرَ أحد الملحدين يوماً من الدكتور **بنتكوت** بسبب تمسّكه بالكتاب المقدّس وقال له: «كل الأناجيل التي وَقَعَت عيني عليها ، لم أجد عليها اسم مؤلّفها ، فكيف تَثِق بكتاب لا يضع مؤلّفه اسمه عليه ؟

فأجاب الدكتور «مَنْ كَتَبَ جدول الضَرب ؟» فقال المُلحد لا أعلم ؟ فقال له الدكتور «يا لَكَ من رَجُل ، أَترضى أن تحفظ أرقاماً وترضى أن تستعمِلها طول حياتك في جميع أشغالك الحسابيّة ، وتعتمد عليها في كل أمورك الماديّة وأنتَ لا تعرف مَن أَلَّفَ جدوَل الضَرب ؟».

فقال المُلحد : «ولكن جدول الضَرب نافعٌ وقد أثبتت الأيّام صحّته ».

فَخَتَمَ الدكتور حديثه بقوله: «**وهكذا إنجيلنا نافعٌ وأثبتت الأيّام صحته**».

أيقونة الغلاف . الصليب الكريم المحيي

أغفر لهم يا أبتي لأنّهم لا يدرون ماذا يفعلون.

أيُّ موقف يليق بنا أمام أيقونة الصَلب ، غير موقف السجود والصمت والتأمّل.

تتصف هذه الأيقونة ببساطتها وبمعناها الروحيّ العميق. لم يَأت المسيح ليلغي الموت بل ليدلنا إلى الطريق التي ينبغي أن نسلكها لنصل إلى القيامة. أنا هو **الطريق والحقّ والحياة**.

يحتل الصليب حيّزاً كبيراً من الأيقونة فيغطيها من الأعلى إلى الأسفل .

بنَظر البعض ، الصليب هو أداة عذابٍ وذُلّ. جاء في الناموس ملعونٌ كلُّ من عُلِّقَ على خشبة.

أمّا في نظر المؤمن ، فهو أداة انتصار على الموت ، إنّ عذابات الإنسانيّة وأوجاعها احتشدت وتجمّعت على الصليب الذي حَمَلَهُ السيّد وغَلَبَ به الموت.

يرمز الصليب إلى الشجرة الكونيّة ، شجرة الحياة التي تصل الأرض بالسماء. الخشبة العموديّة تنطلق من السماء موطن اللّه مارّة بالأرض موطن الأحياء، وتنغرس في الجحيم مسكن الأموات. وعلى الخشبة الأفقيّة تمتد يدا المسيح وذراعاه المنفتحتان تغمران الكون بأسره.

ألم يَقُل لنا المسيح في إنجيل يوحنا : وأنا إذا رُفعتُ من الأرض جذبت إليَّ الناس أجمعين.

لا يبدو المسيح المعلّق على الصليب إنساناً مُنهَك القوى ، ومُضنىً من الألم ، ولا تبدو عليه علامات الإنهيار ؛ حاشا. لكن جسده يبدو ساكناً وكأنَّ لا ثقلٌ له ، فصاحب هذا الجسد الطاهر جسد ربنا وإلهنا ومخلصنا يَسوع المسيح لا يزال يرحم ويسامح. **إغفر لهم يا أبتي لأنّهم لا يدرون ماذا يفعلون.**

يرمز عُري المصلوب إلى طبيعة الإنسان تلك التي كانت له قبل الخطيئة عندما كان لا يزال في الفردوس.

رأس المصلوب مُنحَنٍ نحو أمّه. تحيط به هالة نورانيّة، رُسِمَ في وسطها صليب وفوق الهالة أحرف يونانيّة «إيسوس خريستوس». معناها يسوع المسيح .

يبدو المسيح وكأنّ لا تشنّج البتّة في يديه. ولا في رِجْلَيه ، إنّه في كلّ حال سيّد موته وسيّد حياته لا يفقد شيئاً من عظمَته وهيبته وجلاله. **إنّه المخلّص المنتصر على الموت.**

عيناه مغمضتان تأكيداً على الموت الحقيقيّ. وعلى وجهه سِماء السلام ، وكأنّه ماتَ ثمّ قام .

بيَّنَ كاتب الأيقونة أحشاء المسيح رامزاً بذلك إلى حُبّ اللّه للبشر ورحمته، لأنّ الأحشاء في الكتاب المقدّس ترمز إلى الحبّ والرحمة ، فعلى مثال الحبّ الأموميّ يتجذّر حُب اللّه في أحشائه. فعندما يحب اللّه الإنسان تتحرّك أحشاءه شفقةً ورحمةً.

الصليب مغروس خارج أسوار مدينة أورشليم ، تلك التي تنكّرت للمسيح ، مثلما تنكّرت للأنبياء من قَبْلِه ، فأنكره أيضاً أهله وأصحابه.

المسيح المُعلَّق على الصليب هو المخلّص **وآدم الجديد** الذي سُفِكَ دَمُه وأعادَ الحياة إلى **آدم الأوّل** الساقط بالخطيئة ، الظاهر في الأيقونة بصورة جمجمة،منتظراً نزول المسيح إلى الحجيم ليستعيد الحياة.

تقف مريم العذراء عن يمين المصلوب محاطة بالمريمات والنسوّة. فوق رأسها عبارة يونانيّة «إماريّا ثيوطوكوس» أي مريم والدة الإله.

كما في الأيقونات كافّة هنا ترتدي مريم ثوباً أزرَقَ دلالة على الطبيعة الإنسانيّة، ويَلُفّها رداءٌ أُرجوانيّ اللّون دلالة على الطبيعة الإلهيّة المستمدّة من ابنها المصلوب. وتظهر على جبينها وكتفيها نجوم الطُهر الثلاث التي تُشير إلى بتوليّتها الدائمة ، أي قبل الولادة وأثنائها وبعدها.

تضع مريم يدها اليسرى على خدِّها الأيسر دلالةً على الألم الذي يعتريها ، لا اضطراب ولا نواح في حزنها. ينبعث منها سكونٌ هادىء. وتُشير مريم العذراء بيدها اليمنى إلى المصلوب ، وكأنّها تلفُت أنظارنا إليه ، لقد تحقّقت نبوءة سمعان الشيخ عندما قال لمريم «وأنتِ سيجوز سيفٌ في نفسك لتنكشف الأفكار عن قلوبٍ كثيرة».

على الصليب أعطى يسوع مريم أُمّاً ليوحنّا الإنجيليّ ، ومن خلاله أُمّاً للبشريّة جمعاء. إذ قال لها: يا إمرأة هذا إبنُك.

يقف يوحنّا عن شمال المسيح مُنحَنيّ الرأس قَلقاً ، تبدو على وجهه ملامح ألمٍ عميق. يوحنا وهو الذي أسنَدَ رأسه على صدر المسيح أثناء العشاء الفصحيّ. صَمَدَ بجانب المصلوب حتى النهاية. فهو الممثّل الوحيد للتلاميذ الفارّين.

وعندما قالَ له المصلوب هذه أُمّك أَخَذَ يوحنا على عاتقه حماية مريم. ويوحنّا هذا هو الذي رأى وشَهِدَ ، رأى الدَمَ والماء اللذَيْن سالا من جنب يسوع وهو رمز المعموديّة والإفخارستيّا. وبالتالي رمز أسرار الكنيسة.

أمّا الجندي الروماني الواقف وراء يوحنّا ، والتقليد يقول إنّه قائد المئة الذي شَفَى يسوع خادمه ، يرفع يدَه مُنْبَهِراً من نور الصليب الساطع فَيُمَجِّد اللّه هاتفاً : كان هذا الرجل ابن اللّه حقّاً.

نلاحظ أنّ أيقونة الصلب تشعّ نوراً ذهبيّاً وذلك دلالة على أنّ الصليب هو الينبوع الذي تمّ عليه سرّ الفداء. ومنه شَعَّ نور الخلاص على البشريّة كلّها.

فالصليب علامة الموت والهوان، أصبَحَ ينبوع الحياة والمجد.

لأنّ المسيح ماتَ ليُحيينا وينقلنا من موت الخطيئة إلى قيامة الحياة.

هو بولس الرسول الذي قال عن المسيح : « إنّ اللّه رَفَعَهُ وأعطاه إسماً فوق كل إسم لكي تجثو لإسم يسوع كلّ ركبة مما في السماء وفي الأرض وتحت الأرض».

ثقوا إنّي قد غلبتُ العالم